أجاثا كريستي

أسرار المدافن المصرية



ترجمة :
مازن نفاع

منشورات دار علاء الدين

أسرار المدافن المصرية

اجاتا كريستي

أسرار
المدافن المصرية

ترجمة:
مازن نفاع

دمشق / ١٠٠٠ نسخة

٢٠٠٥

تنضيد وإخراج: دار علاء الدين

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة

دمشق/ سورية – ص.ب : ٣٠٥٩٨

هاتف : ٢٣١٧١٥٨ – ٥٦١٧٠٧١

فاكس : ٢٣١٧١٥٩ – ٥٦١٣٢٤١

تلكس : ٤١٢٥٤٥

أسرار المدافن المصرية

بعد اكتشاف اللورد كارنارفون لمقبرة توت عنخ آمون فوراً، بدأ السير جون ويلارد والسيد بليبنر من نيويورك بأعمال التنقيب فوراً بالقرب من القاهرة في منطقة الأهرامات، وقد تكلل عملهما بالنجاح، إذ سرعان ما اكتشفا العديد من المدافن. وقد استأثر اكتشافهما هذا باهتمام كبير، وتبين فيما بعد بأنهما قد اكتشفا مقبرة "مين هاررا" أحد الفراعنة المصريين من السلالة الملكية الثامنة، وهي فترة مجهولة، لذلك كتبت الصحف كثيراً عن اكتشاف ويلارد وبليبنر.

بعد ذلك الوقت حصلت حادثة شدت اهتمام القراء كثيراً إلى حدث اكتشاف المقبرة المصرية من جديد، فقد توفي السيد جون ويلارد فجاة نتيجة لنوبة قلبية.

وأكثر الجرائد الحريصة على نشر هذه المفاجأة المثيرة استغلت هذه الحادثة المأساوية كي تنتقد كل الأساطير والخرافات القديمة ولحد ما المبتذلة، والتي تدل على أن الكنوز المصرية تجلب الحزن والتعاسة. وتم انتشال مومياء المتحف الانكليزي من الزاوية المعتمة وأزالوا عنها الغبار وقدموها للقارئ. والذي بالرغم من الاعتراضات اللطيفة المهذبة لعمال المتحف انكب عليها بقوة جديدة وبلذة ورضى لايوصفان. بعد أسبوعين توفي السيد بليبنر لإصابته بالتسمم الدموي. وبعد عدة أيام أطلق حفيده الذي يعيش في نيويورك النار على نفسه. ومنذ هذه اللحظة أصبحت لعنة "مين هاررا مين" موضوعاً يتناوله كل الناس.

ولوقت طويل لم يتحدث الناس عن شيء عدا حديثهم عن القوة الغامضة لحكام مصر القديمة.

في هذا الوقت أرسلت السيدة ويلارد أرملة عالم الآثار الذي اكتشف المقبرة "الملعونة"، أرسلت إلى بوارو رسالة ترجوه فيها زيارتها، وانطلقت أنا وبوارو إلى العنوان المشار إليه في الرسالة في كينسينغتون سكسفير.

كانت السيدة ويلارد إمرأة طويلة نحيفة في هيئة حزن عميق وعلى وجهها كانت ماتزال بقايا أسى وغم لم يمض عليهما وقت طويل.

ـ أشكركم كثيراً على أنكم بسرعة تجاوبتم معي في طلبي ياسيد بوارو.

ـ أنا في خدمتكم، سيدة ويلارد، هل أردت الحصول على استشارة مني.

ـ أنت كما أعرف رجل تحر، لكنني لم أرغب في الحصول على استشارة اختصاصي فقط، بل على نصيحة إنسان مفكر ليس له مثيل، يعرف تفاصيل الحياة بشكل دقيق، والشخص الذي أقصده هو أنت ياسيد بوارو، مارأيكم في الظواهر الخارقة للطبيعة؟

تباطأ بوارو قليلاً، وكان يفكر في جوابه على مايبدو، وبعد فترة بسيطة قال:

ـ كنت أرغب في أن يفهم واحدنا الآخر بشكل صحيح، سيدة ويلارد. إنك لم تطرحي سؤالك لاهتمامك بآرائي وإنما بسبب حادثة معينة. وهذا الشيء يرتبط بموت زوجكم أليس كذلك؟

ـ نـعم.

ـ هل تريدون بأن أتقصى ملابسات موته؟

ـ أريد أن أعرف تماماً في ضجة الصحافة هذه النمائم العادية التي يقولونها، وماذا تعني أيضاً.

ثلاثة قد ماتوا، سيد بوارو، وإذا أخذنا كل واحد على حدة يمكن تفسير الأمر، ولكن لو أخذناهم مجتمعين فإن هذا يعتبر تطابقاً غير منطقي وتراجيدياً. والأهم من ذلك أن الثلاثة قد ماتوا ولم يمضِ أكثر من شهر على اكتشاف المقبرة! وربما هذا خرافة، وربما قد حلت لعنة مخيفة ما من الماضي، تنشط في مجالات لايستطيع العلم المعاصر الوصول إليها. الحقيقة تبقى حقيقة: ثلاثة موتى! أنا خائفة، سيد بوارو، وأشعر بالفزع. إني خائفة من ألا يكون هناك نهاية لهذا الأمر؟

ـ على من تخافين؟

ـ على ابني، لقد كنت مريضة عندما وصلنا خبر موت زوجي. وكان ابني قد وصل للتو من أوكسفورد ـ فقد ذهب إلى هناك بمفرده. وأحضر معه.. الجثة إلى المنزل. والآن بالرغم من دعاءاتي وصلواتي فقد ذهب إلى هناك. لقد جذبته أبحاث والده وهو ينوي متابعة عمله في المهمة (البعثة) والقيام بعمليات الحفر في المستقبل. وعلى الأرجح أنتم تعتبرونني غبية وامرأة تؤمن بالخرافات والأساطير، ولكني خائفة ياسيد بوراو، خائفة! وإذا ظهرت روح الفرعون الميت؟ يبدو لكم بأنني أهلوس...

ـ لا،لا، سيدة ويلارد ـ قالها بسرعة بوارو. أنا أيضاً أؤمن بقوة الخرافات والأساطير. فهي إحدى القوى الجبارة التي تعرفها البشرية.

لقد أصابتني الدهشة، فلم أكن أعتقد بأن بوارو يؤمن بهذه

الأساطير، إلا أنه كان من الواضح أنه كان يتكلم بجدية تامة.

ـ إني أفهم ياسيدة ويلارد بأنكم تريدون بأن أقوم بحماية ابنكم؟ سأعمل كل ماأستطيع كي أحميه من قوى الشر.

ـ من الشر الأرضي ياسيد بوارو، وأما فيما يخص القوى الغيبية..

ـ يمكننا إيجاد نصائح عديدة في أعمال مفكري القرون الوسطى، وعلى سبيل المثال كيف نتصدى للسحر الشيطاني الأسود. ومن المحتمل أن مفكري ذلك العصر قد عرفوا أكثر من علمنا المعاصر المحمود. والآن دعينا ننتقل إلى الحقائق، فأنا أريد أن أتأكد من بعض الأمور. هل كان زوجكم مولعاً جداً بعلم الآثار المصرية القديمة؟

ـ نعم، منذ شبابه، فقد كان أحد أصحاب النفوذ والهيبة في هذا المجال.

ـ والسيد بليبنر، كما أعتقد، كان هاوياً فقط؟

ـ نعم، تماماً. كان غنياً جداً، وكان يضع أمواله إما في هذا المعمل أو ذاك.وهذا يرتبط حسب اهتماماته أكثر في تلك اللحظة. واستطاع زوجي أن يجذبه إلى التعلق بعلم الآثار المصرية القديمة. وعمليات الحفر والتنقيب كان يمولها من حسابه الخاص.

ـ وحفيده؟ هل تعرفين أي شيء عن اهتماماته؟ هل كان يشارك في عمليات الحفر أم ماذا؟

ـ أعتقد بأنه لم يكن هناك. حتى إنني لم أعلم بوجوده إلا عندما قرأت خبر موته. وعلى الأرجح أنه لم تكن لديهم علاقات قريبة أو

جيدة، وعلى كل الأحوال لم يقل السيد بليبنر في أي وقت إن لديه حفيداً.

ـ هل تسمين لي بقية أفراد البعثة؟

ـ الدكتور تاسويل العالم في المتحف البريطاني، والسيد شنايدر من متحف المترو بولثين في نيويورك، والسكرتير الأمريكي الشاب، والدكتور إيمس ـ طبيب البعثة. وحسن، الخادم المصري المخلص لزوجي.

ـ هل تذكرين كنية السكرتير الأمريكي؟

ـ على مايبدو هاربر، لكن لاأستطيع أن أتذكر تماماً. فقد جاء إلى السيد بليبنر منذ وقت ليس بالبعيد. إنه شخص لطيف جداً.

ـ شكراًسيدة ويلارد.

ـ هل هناك شيء آخر؟

ـ حالياًلا. اتركوا هذا الأمر لي ولاتقلقوا. سوف أعمل كل مااستطيع عمله في هذه الظروف كي أحمي ابنكم.

الكلمات بحد ذاتها لم تكن مشجعة كثيراً، وقد شعرت السيدة ويلارد بهذا. ولكن بما أنه لم يعتبر مخاوفها فارغة فقد طمأنها هذا الأمر قليلاً على مايبدو. أما فيما يخصني أنا، فقد كنت في حيرة تامة. لم يبدُ بوارو أبداً وفي أي وقت كان أنه يقع تحت تأثير هذه الأساطير والخرافات القوية.

ـ بالطبع ياهاستينغز، بالطبع، أنا أؤمن في كل هذا. ومن العبث ألا تقدّروا جيداً قوة الأساطير والخرافات.

ـ ماذا سنفعل؟

- Toujours pratiquc (كلمة فرنسية تعني ـ دائماً عملي م.) رجلنا الطيب هاستينغز يثق في نفسه: إلى العمل فوراً. Eh bicn (كلمة فرنسية تعني ـحسناً) في البداية سنرسل برقية إلى نيويورك ونستعلم كل تفاصيل موت السيد بليبنر ـ الصغير. واستلمنا جواباًكاملاً ودقيقاً. روبرت بليبنر لعدة سنوات كسب رزقه بواسطة الأعمال العرضية وعاش على الصدقات. وعاش في نيويورك في السنوات الأخيرة وسارت أموره من سيء إلى أسوأ.

إلا أنه (وهذه حقيقة ممتعة برأيي) استطاع بطريقة ما أن يحصل على مبلغ يكفي للسفر إلى مصر. "هناك، لي صديق جيد، وسأستطيع أن ألهو عنده" قال هو. لكن لم يستطع أن ينفذ خطته. فقد عاد إلى نيويورك لاعناً بخل قريبه، الذي كان يهتم بالعظام القديمة أكثر من قريبه الحي. مات السير جون ويلارد عندما كان روبرت في البعثة. وعاد روبرت في نيويورك إلى نمط حياته القديم، وفجأة، وبشكل غير متوقع لمعارفه انتحر، تاركاًرسالة تثير الفضول والاهتمام كثيراً بمضمونها. وكتبت الرسالة على مايبدو في حالة ندم ويأس تام. وقد وصف نفسه بأنه منبوذ ومبتلي. وأنهى الرسالة بكلمات تقول: إن إنساناً مثله من الأفضل أن لايعيش.

ظهرت في رأسي فكرة، ولم أعتقد في أي وقت من الأوقات بنظرية انتقام الحكام المصريين القدماء الموتى. واعتبرت أن الجريمة هي جريمة معاصرة تماماً. وماذا لو أن هذا الشاب قرر أن يتخلص من قريبه الغني؟ ومن المحتمل أن يكون قد استخدم السم. وعملية التسمم لم

تحدث، لسبب ما، كما كان مقرراً لها. فمات السير جون ويلارد. ومن ثم رجع الشاب إلى نيويورك حاملاً عبء الجريمة التي ارتكبها، أي موت إنسان بريء. وهنا يعرف أن عمه قد مات. وقد ارتكب جريمته بشكل غير مقصود، وكان الندم يعذبه فينهي حياته بالانتحار. وشاركت بوارو في نظريتي هذه.

ـ إنها فكرة ممتعة وشيقة، قال بوارو ذلك مستحسناً هذه الفكرة ـ ممتعة جداً. ويمكن أن يكون كما قلت تماماً! ولكنكم نسيتم التأثير المحتم للمقبرة المصرية.

وهنا هززتُ كتفي.

ـ ألا زلتم تعتقدون بأن هناك علاقة مابين اكتشاف المقبرة وموت شخصين؟

ـ أنا واثق من هذا، Monami، (كلمة فرنسية تعني ياصديقي) لدرجة أننا سنتوجه غداً إلى مصر.

ـ ماذا؟

ـ إلى مصر. وظهرت على وجه بوارو تعابير إنكار الذات البطولية، انقلبت إلى تعابير مؤلمة: ـ البحر، ـ قالها بأنين ـ هذا البحر البغيض!

مضى أسبوع. وخشخشت تحت أقدامنا رمال الصحراء الذهبية. وانهمرت على رأسنا أشعة الشمس الحارة بصورة ساطعة. وكان مؤلماً النظر إلى بوارو، كان صديقي الصغير رحالة قليل الأهمية. ورحلتنا التي استمرت أربعة أيام من مرسيليا إلى الاسكندرية كانت بالنسبة له عذاباً دائماً. وفي نهاية الطريق كان في حالة يرثى لها. وفي بعض

الأوقات خانه حسن التصرف الرائع الذي يمتاز به. ونزلنا في القاهرة في فندق "مينا هاوس" بالقرب من الأهرامات وقد أدهشتني روعة مصر، لكن لم يكن الأمر كذلك بالنسبة لبوارو.

كان كما في لندن يرتدي طقماً قاتماً جداً، ويحمل في جيبه دائماً فرشاة ثياب، بواسطتها خاض صراعه المرير مع الغبار.

- حذائي... انظروا فقط إلى حذائي، قالها بأنين، - حذائي المطلي بالورنيش جميل دائماً ولماع، انظروا، لقد دخل الرمل إليه، وأصبح المسير مؤلماً جراء هذا، ومن الأعلى هناك رمل، والنظر إلى هذا مؤلم حقاً. وهذا الحر - لقد تهدل شاربي بسببه، نعم تهدل...

- انظروا إلى أبو الهول، - قالها بحزم إني أشعر وكأن هناك قوة أسطورية تخرج منه.

نظر بوارو إلي بشكل غير مريح.

- منظر كئيب، قال بوارو، فهو مغطى بالرمال مهملٌ وبطريقة كريهة. آه، من هذه الرمال!

- هيا هيا يابوارو، ففي بلجيكا هناك الكثير من الرمال، قاطعته أنا متذكراً رحلة الاستجمام في نوك - سيور - مير، "الكثبان الذهبية".

- ليس في بروكسل. ليس هناك رمال في بروكسل.

عاين بوارو الأهرامات بعمق.

يجب أن نعترف، أشار بوارو، بأن أشكالها صحيحة ومتماثلة، ولكن سطحها غير متساو. وهذه النخلات لاتعجبني أبداً وهي بعيدة عن بعضها البعض.

وضعت حداًلشكاواه، متابعاً طريقي. والوصول إلى مخيم علماء الآثار لم يكن ممكناً إلا بواسطة الجمال، التي تنتظرنا بفارغ الصبر. وكانت راكعة ومحاطة بأولاد ـ جمّالين رانعين بقيادة مرافق ثرثار.

يئست من منظر بوارو وهو على الجمال. واستحالت بالتدريج اعتراضاته التي عبر عنها في البداية بزفراته ونواحه إلى هتافات وصيحات ساخطة وحركات سريعة بيديه، وكانت موجهة إلى مريم العذراء. في نهاية المطاف اعترف بخسارته المخزية، ومن ثم نزل عن الإبل وتابع طريقه على حمار صغير.

يجب آن أعترف أنه بالنسبة لفارس مبتدئ فإن السفر على الإبل بهذا البطء لايعتبر سعادة كبيرة. ويشعربذلك المرء خلال عدة أيام. وبعد عدة ساعات وصلنا أخيراًإلى مكان الحفريات. وكان في لقائنا رجل أسمر ذو لحية بيضاء كان يرتدي طقماًأبيض وخوذة استوائية.

ـ سيد بوارو والكابتن هاستينغز؟ لقد وصلتنا برقيتكم، وأرجو المعذرة لأننا لم تستقبلكم في القاهرة. كل خططنا وأعمالنا كانت مرتبطة بما حصل.

واصفر وجه بوراو، ويده التي كانت ممتدة إلى فرشاة الثياب في جيبه، تجمدت في نصف الطريق.

ـ أيعقل أن يكون هناك إنسان آخر قد مات؟

ـ نـعم.

ـ السيد غاي ويلارد؟ قلتها بخوف.

ـ لا ياكابتن هاستينغز. زميلي الأمريكي السيد شنايدر.

ـ وسبب الموت ماهو؟ سأله بوارو.

ـ الكزاز، داء تيتانوس.

لم أدرِ ماحصل لي وقتها، فكل شيء من حولنا كان يهددنا بالخطر، وخطرت في بالي فكرة مرعبة: وإذا كانت الضحية-التابية أنا؟

ـ Mon diew (كلمة فرنسية تعني ياإلهي م.) تمتم بوارو ـ إني لاأفهم. إن هذا كله مرعب حقاً، قل لي ياسيدي وهل أنتم متأكدون من أنه قد مات بسبب الكزاز؟

ـ دون أدنى شك سيد بوارو. والباقي يمكنكم معرفته من الدكتور إيمس.

ـ نعم، فأنتم لستم بطبيب.

ـ كنيتي هي تاسويل.

كان هذا مبعوث المتحف البريطاني الذي حدثتنا عنه السيدة ويلارد. كان يبدي بعض الثقة والهدوء مما ناسبه تماماً.

ـ لنذهب معاً ـ تابع الدكتور تاسويل ـ سأوصلكم إلى السيد ويلارد. فقد طلب منا أن نخبره على الفور عن وصولكم. ذهبنا من الناحية الأخرى للمخيم إلى غرفة كبيرة.

أزاح الدكتور تاسويل الستار فدخلنا. في الداخل كان هناك ثلاثة أشخاص، وتقدم منا الأكثر شباباً، واتصفت حركاته بالنشاط الذي ذكرنا بأمه. ولم تسفع الشمس السيد ويلارد مثل الآخرين أعضاء

البعثة. وجراء وجهه الشاحب والناعس كان يبدو أكبر بكثير من زملائه في الثانية والعشرين. وكان واضحاًأنه في حالة توتر عصبي شديد، وكان عليه أن يتماسك أيضاً. وقدم لنا زميليه:الدكتور إيمس والسيد هاربر، وكان الدكتور في الثلاثينات لاأكثر، وخط الشيب شعره من ناحية صدغيه، وترك فينا انطباع الرجل العارف. أما السكرتير الشاب فكان نحيفاً وكان يبدو كرجل أعمال أمريكي يضع أمام عينيه الشعار الوطني: نظارات ذات إطار مصنوع من القرون.

بعد أن قال السيد هاربر بعض الكلمات اللطيفة والتي لاتعني شيئاً خرج وبعده خرج الدكتور تاسويل أيضاً،أما الدكتور فقد بقي.

ـ من فضلك ياسيد بوارو، اطرح الأسئلة التي تريدها ـ قال ويلارد ـ لقد هزتنا مسألة الموت هذه، والمآسي تتلاحق الواحدة بعد الأخرى ولكن هذا ليس... هذا لايمكن أن يكون إلا مجرد مصادفة. كان يتصف صوته وحركاته بالعصبية التي تتعارض مع معنى كلماته. ونظر بوارو إليه بتمعن.

ـ لكن هل ستعطون هذا العمل كل وقتكم سيد غاي؟ سأله بوارو.

ـ نعم، مهما حصل، يجب أن يستمر العمل، هذا كل مافي الأمر.

واستدار بوارو إلى الدكتور.

ـ وأنتم مارأيكم سيدي الدكتور.

ـ هم... أنا أيضاًضد إيقاف العمل.

أعوج وجه بوارو بصورة معبرة جداً كعادته.

ـ بما أن الأمر على هذا الشكل، علينا أن نعرف أنه قد حصل ماحصل. متى مات السيد شنايدر؟

ـ منذ ثلاثة أيام.

ـ هل أنتم متأكدون بأن سبب موته هو مرض الكزاز.

ـ تماماً.

ـ ألا يعقل أن يكون السبب التسمم ـ الزرنيخ، على سبيل المثال؟

ـ لا ياسيد بوارو،وأفهم ماتقصدونه لكن السيب كان الكزاز حتماً.

ـ هل أعطيتموه مستحضرات مضادة للكزاز؟

ـ طبعاً ـ أجاب الدكتور بتذمّر. لقد عملنا مابوسعنا وماكان يجب فعله.

ـ هل كانت لديكم هنا هذه المستحضرات.

ـ لا، بل جلبناها من القاهرة.

ـ هل كانت هناك في المعسكر حالات أخرى؟

ـ ولا أية حالة.

ـ هل أنتم واثقون من أن السيد بليبنر مات بسبب الكزاز؟

ـ واثق تماماً. لقد جرح اصبعه وانتقلت إليه العدوى في الجرح. لقد أصيب بالتسمم الدموي، وهذا الأمر لايبدو للأطباء شيئاً متشابهاً لكن أؤكد لكم بأن هذه الأمور أشياء مختلفة تماماً.

ـ هذا يعني أننا أمام أربع حالات للموت وأسبابها كلها مختلفة: نوبة قلبية، وتسمم دموي وانتحار وكزاز.

ـ بالضبط تماماًياسيد بوارو.

ـ هل يمكن برأيكم أن يكون بينها أية علاقة ممكنة؟

ـ أنا لا أفهمكم تماماً.

ـ لنقل ببساطة أكثر، هل كان في تصرفات الأشخاص الأربعة مايوحي بأنهم لايحترمون روح مين هاررا؟

حملق الدكتور إلى بوارو بتعجب.

ـ لا ،إنكم تمزحون على الأرجح سيد بوارو، لايمكن أبداً أن تشغلوا نفسكم بهذه الأحاديث الغبية.

ـ هراء، مجرد هراء، قالها ويلارد بألم

تفحصهم بوارو برصانة، بعينيه الخضراوين الثابتتين وكأنهما عينا الهر.

ـ إذاًلاتعتقدون في هذا يادكتور.

ـ لا ياسيدي لاأؤمن ـ قالها الدكتور بحرارة. أنا رجل المعارف العلمية. أنا أؤمن بما يبرهنه العلم فقط.

ـ في مصر القديمة كان هناك علم أيضاً، أليس كذلك؟ قالها بوارو ببساطة ولم ينتظر الجواب، وبدا أن الدكتور إيمس أيضاًقد اندهش ـ لا، لا، لاتجاوبوا ـ تابع بوارو كلامه وقولوا لي أفضل، كيف يفكر بهذا الأمر، المصريون العاملون معكم.

ـ يبدو أنه كلما فقد البيض رؤوسهم فإن السكان الأصليين لايبقون كثيراً. يجب أن أعترف بأنهم تقريباًخائفون، دون أي سبب حسب اعتقادي.

ـ أتعتقدون، دون سبب؟

وتدخل السير غاي.

ـ أيعقل أنكم تعتقدون بهذا الهراء؟ سأله بعدم ثقة، ـ ولكن هذا مجرد سخافة! أنتم، من المفروض، لاتعرفون شيئاً عن مصر القديمة. وعوضاً عن الجواب سحب بوارو من جيبه مجلداًصغيراًمبتذلاً: "السحر في مصر"، ومن ثم استدار صامتاً وخرج من الغرفة.

نظر إلي الدكتور باندهاش واضح.

ـ ماالقصد من هذا؟

لقد تبسمت عندما سمعت الكلمة المفضلة لبوارو ـ لاأعرف أقسم بشرفي.

يبدو أنه اعتقد بأن يرعب قوى الشر.

عندما وجدت بوارو، كان يتحدث مع السيد هاربر السكرتير الشاب للمقتول السيد بليبنر.

ـ لا، قال السيد هاربر، أنا في البعثة منذ نصف سنة، نعم، لقد عرفت جيداً أعمال السيد بليبنر.

ـ هل تستطيعون أن تحدثوني قليلاًعن حفيده؟

ـ لقد ظهر هنا فجأة، وهيئته لطيفة فعلاً. لم أعرفه من قبل، وأما إيمس وشنايدر فقد كانا يعرفانه أكثر. ولم يكن السيد بليبنر راضياًعن قدومه إلى هنا،لقد كانا مسالمين مع بعضهما البعض ولم يتحدثا سوى كلمتين. وقد سمعت كيف كان العجوز يصرخ: "ولا سنت، لا الآن ولا بعد موتي. وكل نقودي ستذهب إلى علم الآثار، إلى العمل الذي

كرست له كل حياتي، لقد تكلمت في هذا الأمر اليوم مع السيد شنايدر". وبعد ذلك كان الأمر نفسه. في ذلك الوقت انطلق بليبنر الصغير وذهب إلى القاهرة.

- هل كان في ذلك الوقت معافى تماماً؟

- العجوز؟

- لا، الشاب

- ليس تماماً على ما يبدو. لقد قال شيئاًما عن صحته، لكن من الواضح أنه لم يكن هناكمرض خطير، وإلا لكنت تذكرته الآن.

- هناك شيء آخر أيضاً، هل ترك السيد بليبنر وصية؟

- لا، على ماأعرف.

- هل ستبقون في البعثة سيد هاربر؟

- لا، سأذهب عندما أستطيع ذلك، وكلما كان هذا أسرع كان أفضل، يمكنكم أن تهزؤوا مني، لكن لاأرغب في أن أكون الضحية التالية لـ مين هاررا الكريه القديم. سيصل إلي حتماً إذا بقيت هنا.

نشف هاربر جبهته بمنديل، وعند ابتعاده، استدار بوارو وأضاف بضحكته الساحرة:

- تذكروا فقط أن إحدى ضحاياه كانت في نيويورك.

- اللعنة! قالها هاربر بقوة.

- هذا الشاب عصبي جداً - قال بوارو برصانة عندما ابتعدنا - هو في النهاية، في النهاية.

نظرت إليه وكان مازال يبتسم، لكنه لم يفسر لي شيئاً، ودرنا حول المعسكر مع السيد غاي والدكتور تاسويل. وقد نقلت أغلبية الأشياء الموجودة إلى القاهرة، ولكن الأجزاء الباقية من المقبرة كانت تثير

الاهتمام. وكان الشاب مليئاً بالحماس، وكان في كلامه وسلوكه بعض العصبية وكأنه شعر بالخطر الداهم في جو هذا المعسكر. عندما توجهنا إلى غرفتنا المخصصة لنا كي نغتسل ونرتاح قليلاً قبل العشاء، وعند المدخل تجنبتنا هيئة طويلة نحيفة برداء أبيض، وبصوت ناعم ألقت علينا السلام بالعربية، توقف بوارو..

ـ أنتم حسن، خادم السيد جون ويلارد المتوفى؟

ـ لقد قمت بخدمة سيدي السير جون، والآن أخدم ابنه ـ اقترب بخطوةباتجاهنا وقال بهمس: ـ أنت حكيم، كما يقال. تعرفون كيف تصدون قوى الشر. ليذهب السيد الشاب من هنا. هنا تسيطر روح الشر.

بهذه الكلمات تركنا دون أن ينتظر الجواب.

عندما جلسنا إلى مائدة الطعام في المساء كان شكلنا مكتئباً، ولم يكن هناك أحد تستطيع أن تجري معه حواراً ما، عدا الدكتور تاسويل، الذي بدأ بإلقاء محاضرة علينا عن مصر القديمة دون أن يقاطعه أحد. عندما هممنا أن نقوم عن الطاولة، أمسك السير غاي بياقة بوارو وأشار إلى ناحية الغرفة. هناك لاح في الظلام خيال ما، لقد كان خيال شخص: لقد عرفت جسده وكان برأس كلب، مثل الرسوم التي كانت على جدران المقبرة.

توقف الدم في عروقي.

ـ Mon dieu (ياإلهي) تمتم بوارو، وبسرعة وضع علامة الصليب ـ أنوبيس، جسد برأس ابن آوى، اله المتوفين.

ـ هناك أحد مايهزأ بكم! ـ قالها تاسويل باستياء عندما قام عن الطاولة.

ـ هاربر، لقد دخل إلى غرفتنا ـ همس السير غاي، لقد كان وجهه شاحباً كالموت.

ـ لا، ـ عارضه بوارو ـ لقد دخل إلى الدكتور.

حملق الدكتور إليه ousesomsemro، ومن ثم كرر كلمات تاسويل

ـ هناك أحد مايهزأ بنا. ولننظر من هذا الذي يمزح معنا.

ركض إلى تلك الناحية التي اختفى فيها ذلك الشخص، واندفعت وراءه، لكن بالرغم من أننا طفنا كل المعسكر لم نجد شيئاً على الإطلاق. وعدنا إلى غرفتنا معكري المزاج مذهولين. وهنا لم يكن بوارو واثقاًعلى مايبدو من قدرتنا على الإمساك بذلك الشخص كائناًمن يكون، لذلك قرر أن يتخذ بعض الإجراءات كي يضمن السلامة الشخصية. فقد رسم على الرمل حول غرفتنا رسماًهندسياً ونقوشاً، وعرفت من بينها النجمة الخماسية "ألبانتاغون" فقط. في نفس الوقت قرأ كعادته محاضرة مرتجلة حول موضوع السحر والشعوذة بشكل عام، والفرق بين السحر الأسود والسحر الأبيض الخ، معتمداً (مقتبساً) من "كا"[1] و "كتاب الأموات". وأثارت هذه المحاضرة الغضب لدى الدكتور تاسويل الهادئ عادة، وقال لي باحتقار واضح عندما شدني إلى ناحية أخرى:

ـ إنه هراء حقيقي. إنه دعي بالفعل. فهو يخلط مابين الأساطير والخرافات في القرون الوسطى ومعتقدات مصر القديمة. لم أسمع بهذا الأمرالغريب من قبل أبداً.

١ـ في مصر القديمة ـ شبه الشخصية. اعتقد بأن الإنسان يولد مع "كا" الخاصة به وأنه بعد موت الإنسان فإن "كا" العائدة إليه تتحول إلى هيئة ميت في مقبرته.

لقد هدأت من روع عالم الآثار الساخط ودخلت إلى خيمتنا. وكان صديقي الصغير في مزاج رائع.

ـ الآن نستطيع أن ننام بهدوء، ـ قالها هو ـ أنا مثلاً ليس هناك مايعيقني عن النوم، ورأسي انفلق من شدة الألم. وكم تمنيت أن أشرب الآن فنجاناً من tisane.

وهنا، وكأنه بالسحر، انفتح ستار الخيمة ودخل حسن، حاملاً فنجاني عصير غير معروف، كان هذا منقوع الأقحوان، وهو العصير الذي يحبه بوارو كثيراً، وأنا بدوري شكرت حسن لكني رفضت الفنجان، أما بوارو فقد شرب فنجانه برضى. وعندما كان يشرب فتحت ستار الخيمة ووقفت هناك حيث الصحراء المنبسطة.

ـ مكان رائع، قلت أنا ، وعمل رائع يجذب أيًا كان وهذه الحياة في الصحراء هي عبارة عن توغل في روح الحضارة الفانية، من غير الممكن أن لاتشعر يابوارو بالقوة الجاذبة لهذه الحياة؟

ودون أن أنتظر الجواب استدرت بضجر، وهنا اختفى ضجري وحمقي وحل محلهما القلق، فبوارو كان ممداً على الفراش، وكانت على وجهه ملامح التشنج. وبجانبه كان فنجان فارغ، أسرعت إليه، ومن ثم ذهبت إلى خيمة الدكتور إيمس.

ـ دكتور، بسرعة، صرخت أنا.

ـ ماذا حدث؟ سألني الدكتور وكان مازال يلبس بيجامته.

ـ صديقي! لقد مرض، إنه يموت! عصير الأقحوان. لاتدعوا حسناً يخرج من المعسكر.

اندفع الدكتور كالسهم إلى خيمتنا. وبوارو ممدد في نفس الوضع الذي تركته عليه:

ـ غير ممكن! ـ صرخ إيمس ـ وكأنها نوبة قلبية... ماذا قلت إنه شرب؟

ومسك بيديه النفجان الفارغ.

ـ لكنني لم أشرب شيئاً ـ لقد كان صوت بوارو الهادئ المطمئن. استدرنا وتجمدنا من الدهشة. ضحك بوارو وجلس على السرير

ـ لا، لم أشرب شيئاً. عندما كان صديقي يفتتن بجمال الليل، سكبت مايحتويه الفنجان ليس في فمي بل في قارورة صغيرة. وسوف تؤخذ إلى المخبر لتحليلها. لا. يادكتور، فأنت، إنسان خبير ـ تابع كلامه بوارو عندما لاحظ حركة عصبية من الدكتور ـ فأنتم تعرفون أن هذا الأمر ليس مقصوداً. عندما ذهب هاستينغز وراءكم خبأت هذه القارورة في مأمن. وبالأحرى، أوقفوا هذا الرجل ياهاستينغز!

لم أفهم بوارو في البداية، معتقداً بأن صديقي في خطر ما، واندفعت مابينه وبين الدكتور، ولكنه لم يهرع إلى السلاح، رفع إيمس يده إلى فمه، وفاحت منه رائحة اللوز، وتمايل ومن ثم سقط.

ـ هاهي ضحية أخرى، قالها بوارو بكآبة ـ ولكن هذه الضحية هي الأخيرة. ربما هكذا أفضل. فعلى ذمته ثلاثة أشخاص قد ماتوا.

ـ هو الدكتور إيمس إذاً ؟ وأنا ظننت بأنك تعتقد بالقوى الغيبية.

ـ أنت لم تفهمني ياهاستينغز، عندما كنت أتكلم عن هذه القوى

كنت أعني بأنني أؤمن بالقوة الجبارة للأساطير والخرافات، وإذا صدق الناس المحيطون بك بأن موت بعض الأشخاص سببه أعمال القوى الغامضة الوحشية الغيبية، فإن الضحية التالية يمكن طعنها بالسكين في وضح النهار ـ وعلى كل حال الكل سيقول بأن سبب الموت هو قوى خارقة للطبيعة. هذه هي قوة الأساطير ياهاستينغز، فقد تجذر الاعتقاد في القوى الخارقة للطبيعة في إدراك البشرية، وخطرت في بالي فكرة بأن هناك أحداً مايستغل هذه الإشاعات عن القوى الغيبية. وأعتقد بأن هذا الأمر قد بدأ منذ موت السير جون ويلارد. وهذا الموت استدعى هذا التيار الجارف من الإشاعات الخرافية. وكما فهمت فإن موت ويلارد لم يكن في مصلحة أحد. أما موت بليبنر فهذا أمر آخر. لقد كان إنساناً ثرياً جداً، وكانت البرقية من نيويورك تحتوي على أشياء مهمة. وحسب كلمات الشهود فإن بليبنر الصغير اعتمد على صديق معين في مصر يمكن أن يعطيه النقود. الكل قرر بأن الحديث يدور عن عمه، ولكنني كنت أشك بذلك. فلو كان يقصد عمه، لكان ذكر هذا الأمر، ولكنه قال "عند صديق"، وبعد ذلك، فقد جمع الأموال في طريقه إلى مصر، وعمه لم يعطه أي شيء إطلاقاً ـ وبالرغم من هذا، فقد كان لديه الأموال اللازمة للرجوع ـ وحتماً هناك أحد ما أقرضه الفلوس في مصر.

ـ وقلت له: ولكن هذا كله غير محدد.

ـ هذا ليس كل شيء، تعرف ياهاستينغز أن التعابير المجازية تفهم غالباً بالحرف الواحد. ويحصل أحياناً العكس. في تلك الحالة الكلمات التي قيلت مباشرة كانت مفهومة في المعنى المجازي. روبرت بليبنر كتب: "أنا منبوذ يائس"، ولكن لم يخطر في بال أحد أنه كان يقصد المرض

الحالي إيّاه. أطلق على نفسه النار لأنه اعتقد بأنه تعرض لمرض الجذام.

ـ ماذا؟

ـ نعم ياهاستينغز، لقد قدر العقل الشيطاني للقاتل كل شيء: بليبنر الصغير تشرد كثيراً، كان في أمكنة حيث يمكن الإصابة بهذا المرض. وإيمس كان رفيقه وطبيباً جيداً، ولم يخطر في بال بليبنر أبداً أن يخطئ في تشخيصه للمرض. في طريقنا إلى هنا احترت مابين هاربر وإيمس، ولكنني هنا لم أعد أشك بأن الطبيب فقط هو الذي يستطيع أن يفكر في هذه الجرائم وينفذها، وعرفت هنا من هاربر بأن إيمس وروبرت بليبنر كانا يعرفان بعضهما من قبل. ولم أعد أشك مطلقاً بأن روبرت بليبنر قام بكتابة وصية لصالح إيمس. وذلك رأى إمكانية بأن يصبح غنياً. وكان من السهل عليه أن ينقل العدوى إلى السيد بليبنر. وبعد ذلك إلى حفيد المليونير، عندما عرف من الدكتور "الحقيقة" المرعبة عن نفسه، ولم يرغب في العيش. ومهما كانت نوايا السيد بليبنر فإنه لم يكتب وصيته، ويبدو أنه لم يلحق ذلك. وحالته كانت يجب أن تنتقل إلى الحفيد، ومن الحفيد ـ إلى الدكتور إيمس.

ـ والسيد شنايدر؟

ـ ليس واضحاً تماماً. فهو كان يعرف بليبنر الصغير، وعلى الأرجح كان يشك وربما قرر الدكتور أن موت شخص آخر من دون سبب واضح وغير مقصود قد يزيد من حرارة الخوف والشك حول المقبرة المصرية. والأمر ينحصر ايضاً ياهاستينغز بأنّ هناك حقيقة سيكولوجية ممتعة جداً: أي قاتل يتمسك برغبة قوية في إعادة "نجاحه"، وهذا يصبح حاجة ماسة بالنسبة إليه. لذلك أنا كنت

خائفاًعلى ابن السيد ويلارد. ذلك الخيال - شكل Ahysuc - كان الخادم حسناً بنفسه، وقام بهذا الأمر بناء على أوامري، كنت أريد أن أعرف هل سيخاف الدكتور أم لا؟ ولكن لم نتمكن من تخويفه ببساطة. وكان واضحاًلي ·أنه لم يعتقد كثيراًفي اهتماماتي بالقوى الغيبية. ولم تستطع الكوميديا الصغيرة التي قمت بها أن تغشه. وهنا بدأت شكوكي بأن أصبح أنا الضحية التالية. لكن رغم lamer maudite، القيظ الذي لايطاق، فإن خلايا دماغي كانت تقوم بوظائفها كما في السابق. كان بوارو يبدو محقاًتماماً. وتبين ·أنه منذ عدة سنوات كتب روبرت بليبنر أثناء شربه للكحول وصيته على سبيل المزاح، "أترك" علبة سجائري الفضية، التي كانت تعجب الدكتور كثيراً،وكل أملاكي الموجودة بشكل رئيسي كديون، لصديقي الطبيب الدكتور روبرت إيمس، الذي أنقذ حياتي في يوم من الأيام عندما كدت أغرق.

"قضية المقبرة المصرية" حاولنا أن لانبيحها، بقدر ماهو ممكن إلا أنه ولغاية يومنا هذا، هناك بعض الأقاويل حول موت بعض الأشخاص بصورة غامضة، والتي تبين :أن الحكام المصريين ينتقمون بشدة من الاستهزاء بمقابرهم، كما شرح لي ذلك بوارو معارضاًبذلك كل معتقدات وأفكار مصر القديمة.

سرقة الياقوت الأحمر الملكي

قال إيركول بوارو: متأسف جداً.

ولكنهم قاطعوه..لا بشكل فظ، لا، بل باحترام، ولم يناقضوا كلامه بل حاولوا إقناعه بمهارة.

ـ من فضلك ياسيد بوارو لاتمتنعوا فوراً.. فهذا الأمر يمس المصالح الحكومية الخطيرة. ومساعدتكم سوف تقدر بشكل مشرف في الأوساط العليا.

ـ أنتم لطفاء جداً ـ قال ذلك بوارو وقام بحركة رافضة من يده ـ ولكنني في الواقع لا أستطيع أن أقبل عرضكم، في هذا الوقت من السنة...

وقاطعه السيد جيسموند من جديد.

ـ أعياد الميلاد، ـ قال جيسموند بشكل مقنع ـ فكروا في الأمر فقط، عيد الميلاد على الطريقة القديمة في قرية إنكليزية.

ارتعش إيركول بوارو. ففكرة القرية الإنكليزية في الشتاء لاتجذبه أبداً.

ـ عيد الميلاد القديم المجيد ـ أكد السيد جيسموند.

ـ ولكنني لست إنكليزياً ـ نوه بوارو ـ في بلدنا يعد الميلاد هو عيد الأطفال ونحن نحتفل بعيد رأس السنة.

ـ قال السيد جيسموند، في انكلترا، يعطون عيد الميلاد اهتماماًأكبر، في كينغ ليسي سترون كيف يحتفلون به، أتعرف، إنه منزل قديم رائع. وبني أحد أجنحته في القرن الرابع عشر.

وارتعش بوارو من جديد، من جراء فكرة واحدة عن دار انكليزية من القرن الرابع عشر. أشعر وكأنه ليس على مايرام. فقد تحمل كثيراًفي تلك البيوت الريفية القديمة. وجال بوارو بنظره على مكان إقامته المريح بوجود التقنيات والمتطلبات العصرية التي لاوجود فيها لتيارات الهواء مطلقاً.

ـ في الشتاء، قالها بحزم، لاأترك لندن أبداً.

ـ يبدو لي ياسيد بوارو بأنك لاتقدر جدية الأمر المعروض عليكم بما فيه الكفاية.

ألقى السيد جيسموند نظرة على صاحبه وبعدها إلى بوارو.

لم ينطق الضيف الثاني بشيء عدا كلمات لطيفة مجاملة أثناء التعارف. لقد كان شاباً وعمره يناهز الثالثة والعشرين لاأكثر، وجلس وهو ينظر بكآبة إلى حذائه اللمع بشكل جيد. وكان وجهه الأسمر يعبر عن الخطر، ويبدو أنه مكتئب جداً.

اعترض بوارو قائلاً، لا، أبداً، أفهم جيداًبأن الأمر جدي وخطير جداً وآسف من كل قلبي لجلالته.

وأضاف السيد جيسموند: الوضع حساس جداً.

نظر بوارو إليه باهتمام، وإذا استطاع أحدهم أن يصف السيد جيسموند بكلمة واحدة فقط لكانت هذه الكلمة على الأرجح هي "الحذر". كان كل مافي منظره حذراً. كان السيد جيسموند يرتدي بدلة مطرزة بشكل جيد، لكنها ليست ذات لون باهر، وذا صوت ينم عن اللطف الذي نادراً ماارتفع فوق المعتاد. وذا شعر كستنائي فاتح يقل عند صدغيه وذا وجه شاحب وجدي. وفكر بوارو بأنه عرف العشرات من طراز السيد جيسموند. وكل واحد منهم عاجلاًأم آجلاً سيلفظ تلك الجملة "الوضع حساس جداً".

قال بوارو: الشرطة تعرف عندما يكون ضرورياً الحفاظ على الحراسة السرية. حرك جيسموند رأسه بحزم. وقال:

ـ يجب أن نسوي الأمر دون تدخل الشرطة، إن إعادة مايدور الحديث عنه سيؤدي حتماًإلى المحاكمة. ونحن نعرف القليل وليس لدينا سوى الشكوك.

ـ أشارككم في هذا الأمر من كل قلبي، أعاد بوارو من جديد.

وإذا كان يعتقد بأن مواساته ستترك انطباعاًمالدى زواره فقد أخطأ. هم ليسوا بحاجة إلى المواساة وإنما للمساعدة الفعلية، وتحدث السيد جيسموند من جديد عن مفاتن أعياد الميلاد في انكلترا. حيث قال:

ـ أعياد الميلاد القديمة في انكلترا تعود من جديد، أتعرفون هذا؟ والكثير منا يحتفلون بها في المطاعم، ومرت أوقات علينا عندما تجتمع كل العائلة حول طاولة العيد، والأطفال ينتظرون هداياهم، حيث عيد

الميلاد في انكلترا مع شجرة الميلاد والتمثال المصنوع من الثلج خلف النافذة.

وهنا قاطع بوارو جيسموند كي يؤكد شيئاًما: فقد قال بلهجة واعظ:

- لابد من وجود الثلج كي نصنع منه تمثالاً، والثلج لايسقط حسب الرغبة. حتى ولو كان من أجل عيد الميلاد في انكلترا.

وهنا قال السيد جيسموند:

- لقد تحادثت اليوم مع أحد أصحابي العارف بالأرصاد الجوية وقد قال لي بأن الثلج سيسقط في عيد الميلاد.

لم يكن عليه أن يقول هذا. ومن جديد ارتعاش قوي في جسد بوارو.

وصرخ بوارو: الثلج في القرية، وهل هناك أكثر رعباً من هذا الأمر، بيت حجري كبير رطب، وتدارك السيد جيسموند الأمر وقال:

- ولكن لا، فقد تغيرت أشياء كثيرة منذ السنوات الأخيرة، فهناك الآن تدفئة مركزية. وسأله بوارو:

- في كينغ ليسي تدفئة مركزية؟

وبدا وكأنه بدأ يحتار لأول مرة.

فقال جيسموند:

- بالضبط، والشوفاجات موجودة في كل غرفة نوم. وفي الحمامات، المياه الدافئة. صدقني ياسيدي بوارو العزيز، وفي الشتاء فإن كينغ

ليسي بيت مريح جداً. ومن غير المستبعد أنكم ستشعرون هناك بالحرارة.

ـ واعترض بوارو قائلاً: ولكن هذا قليل الاحتمال.

كان السيد جيسموند يعرف كيف يقود الحديث بمهارة. وسأله بصوت واثق جداً: أتعرفون أي معضلة صعبة ستواجهكم؟

أومأ بوارو برأسه، وهذا السؤال كان في الواقع صعباً. والشاب الجالس أمامه، الابن الوحيد لحاكم الدولة الشرقية الغني كان يجب أن يكون في المستقبل ملكاً. فقد وصل إلى لندن منذ عدة أسابيع. وفي بلده في الوقت الأخير تعم الفوضى، والرأي العام الموالي في علاقته للأب الذي تمسك دائماًبالنمط التقليدي للحياة، كان أي الرأي العام ينظر بعدم ثقة إلى الجيل الصغير. فالابن كان يتمسك بالأخلاق الغربية مما أثار ضده المعارضة والاستنكار.

لكن منذ زمن ليس بالبعيد أعلن عن خطبته من ابنة عمه، وهي فتاة تنتمي إلى عصره وحصلت على تعليمها في كمبردج لكنها تحاشت الإعلان عن تعلقها بالعادات الغربية في بلدها. وحدد يوم الزفاف، وقام الأمير الشاب برحلة إلى انكلترا وأخذ معه بعض المجوهرات الثمينة العائدة إلى عائلته وكان يجب أن يحجز لها إطاراًعصرياًمناسباًفي شركة "كارتييه"، ومن بين تلك المجوهرات كان الياقوت الأحمر المشهور عالمياً، وقد استخرجه الصاغة المهرة من عقد قديم ضخم وأعادوا صياغته من جديد. كل شيء سار على مايرام. وحصل مالم يكن في الحسبان. لم يكن يشك أحد في أن هذا الشاب الذي يتمتع بنفوذ كبير والميال إلى تمضية الوقت بفرح، يملك الحق في

هذا الجنون، ولم يستدعِ هذا اللوم أو الاستنكار، فالأمراء الشباب يجب أن يتسلوا، وهذا معروف للجميع. وأميرنا استطاع بسهولة التوجه مع سيدته إلى بوند ستريت وإهداءها سواراً من الزمرد أو مشبكاً من الجواهر جزاء عطفها ورضاها. ويمكن اعتبار هذه الهدية طبيعية تماماً وتتناسب مع وضعه، تماماًكما سيارات الكاديلاك التي أهداها والده إلى الراقصات اللاتي وقعن تحت تصرفه في ذلك الوقت.

لكن الأمير قام بأمر غير متواضع لايمكن مسامحته عليه، فمن شدة اهتمامه برفيقته، قام بعرض الياقوت الأحمر عليها في إطاره الجديد ولم يكن حذراًأبداً فقد سمح لها بارتدائه لليلة واحدة!

النهاية كانت مؤلمة وسريعة. أثناء العشاء ابتعدت السيدة للقيام ببعض التجميل، ومر الوقت لكنها لم ترجع، وتبين أنها تركت المطعم وخرجت من الباب الاحتياطي وبعد ذلك اختفت تماماً. وللأسف، فإن الياقوت في إطاره الجديد اختفى معها أيضاً.

تلك كانت الحقائق والوقائع ولم يكن بالإمكان أبداًالإعلان عنها لأنها ستؤدي إلى نتائج وخيمة. ولم يكن الياقوت الأحمر الضائع مجرد جوهرة عادية، فهو خاص بالعائلة المالكة بالوراثة، وله أهمية عظمى، بالإضافة إلى أن ظروف اختفائه كانت ستثير مشاكل سياسية إذا أعلن عنها. لم يكن السيد جيسموند من أولئك الذين يقولون الحقائق بلغة سهلة. وعلى العكس فقد جسمها بشكل صعب ومعقد. ولم يكن إيركول بوارو يعرف من هو بالضبط السيد جيسموند، وقد التقى من قبل مع أولئك الناس، ولم يوضح هذا الجنتلمان هل هو مرتبط بوزارة الداخلية أو الخارجية أو مع إحدى الدوائر المتواضعة،

وكان يقوم بعمله دفاعاً عن مصالح المملكة المتحدة ـ هذا كل شيء. والياقوت الأحمر يجب أن يسترجع. وإيركول بوارو فقط يمكنه أن يفعل ذلك، هذا ماألح عليه بشكل مؤدب السيد جيسموند.

قال بوارو مسلماًبالأمر: ربما، ربما، ولكنكم قلتم لي القليل فقط. افتراضات وشكوك هذا لايكفي كي نبدأ بالعمل.

ـ هذا مستحيل ياسيد بوارو، وأنا واثق من أن هذا لايعلو على إمكانياتكم.
ـ لم يرافقني النجاح دائماً.

لكن تواضع بوارو كان متصنعاً، فقد كانت لهجته تدل بوضوح على أن كلمة "المباشرة بالعمل" وكلمة "تحقيق النجاح" ماهما إلا كلمتان مترادفتان في قاموسه.

قال السيد جيسموند: جلالته مازال صغيراً، وإنه لمن المؤلم والمحزن إذا كان تصرف الشباب سيعذبه طول حياته.

تطلع بوارو بحسن نية إلى الشاب وكان قلقاًبشكل غير طبيعي.

وقال بوارو مشجعاً: مرحلة الشباب هي زمن الجنون. وكل شيء سهل بالنسبة للشباب العاديين. الأب الطيب يدفع الحساب ومحامي العائلة يساعد في التغلب على الصعاب، والشاب بنفسه يستخلص درساًمفيداً من خبرته الخاصة وكل شيء ينتهي بخير. وفي حالتكم الوضع صعب بالفعل وموعد الزواج الذي يقترب....

ـ بالضبط تماماً، تماماً هكذا ـ نطق الشاب أخيراً، وجرت الكلمات كالتيار:

ـ أتعرفون، إنها فتاة جدية، وهي تنظر إلى الحياة بشكل جدي أيضاً. فقد حصلت في كمبردج على أفكار جديدة. في بلدنا يجب أن يكون هناك تعليم ومدارس ومثل هذه الأمور. كل هذا باسم التقدم وباسم الديمقراطية. وهي كانت تقول بأن الناس لن يعيشوا كما عاشوا في عهد أبي، وهي تعرف بالطبع بأنني سألهو في لندن، ولكن لايمكن أن تكون هناك فضيحة ما، وهذا أهم شيء: لايمكن أن تكون هناك فضيحة ما. هذا الياقوت عبارة عن جوهرة مشهورة جداً جداً، ووراءه تاريخ طويل جداً. سفك الدماء والقتل!.

ـ القتل، ـ قالها بوارو بحزم، ونظر إلى السيد جيسموند، ـ يجب أن نأمل بأن لايصل الأمر إلى هذا الشيء.

أحدث السيد جيسموند صوتاً غريباً، يذكر بقوقأة الدجاجة التي تريد أن تبيض ولكن غيرت رأيها فيما بعد.

ـ لا، لا، مستحيل، صرخ جيسموند عاضاًعلى شفتيه، ـ أنا متأكد بأنه لن يحصل هذا أبداً أبداً.

واعترض بوارو قائلاً: وكذلك لايمكن أن تكون لدينا ثقة تامة بأن هذا لن يحصل. الياقوت الآن بأيدي إنسان ما، وهذا لايستثني أن لصوصاً أخرين سيسعون إليه ولن يوقفهم أي شيء، صدقني.

وقال السيد جيسموند بحذر أكبر: لاأعتقد، بأننا سنلتزم بالتفكير في هذه الفرضيات، وهذا لايؤدي إلى أي نتيجة كانت.

ـ وأنا، قال بوارو ولهجته الغريبة في كلامه أصبحت فجأة واضحة أكثر، أما فيما يخصني، فأنا كما يقول السياسيون سآخذ بعين الاعتبار كل الامكانيات.

ألقى السيد جيسموند عليه نظرة مترددة وسأل أخيراً:

ـ ماذا إذاً ياسيد بوارو، هل توافقون؟ ستذهبون إلى كينغ ليسي.

وسأله بوارو بدوره: وكيف سأفسر وصولي إلى هناك؟

وضحك السيد جيسموند بثقة.

ـ هذا الأمر يمكن تسويته بسهولة، قال جيسموند، لاتقلقوا من فضلك، كل شيء سيبدو طبيعياًجداً. أنا واثق بأن عائلة ليسي ستعجبكم، إنهم أناس رائعون.

ـ عفواً، ألم تخدعوني فيما يخص التدفئة المركزية؟

ـ لا، لا، كيف ذلك، ـ قالها جيسموند باستياء، ستجدون هناك راحة تامة.

ـ Tout confort moderne (كلمة فرنسية تعني ....) قاطع بوارو نفسه، Eh bien (كلمة فرنسية تعني حسناً) أنا موافق.

أثناء جلوسه بالقرب من إحدى النوافذ العالية في غرفة الاستقبال في كينغ ليسي تحادث بوارو مع صاحبة البيت. وكان الجو حاراً جداًفي البيت. كانت المسز ليسي مهتمة بشغل الإبرة، ولم تكن تحيك الدنتيلات المزركشة أو تطرّز الورود على الحرير، بل كانت تقوم بعمل أكثر تعبيراً، كانت تقصر بشاكير المطبخ. ودون أن تنقطع عن خياطتها كانت تتحدث بصوت هامس حسن ودعاه بوارو في نفسه "بصوت ساحر".

ـ أرجو ياسيد بوارو أن تكونوا مرتاحين عندنا. نحن نحتفل بعيد الميلاد في وسط عائلي ضيق، لن يكون هناك إلا حفيدتي وحفيدي مع

رفيقه، وكذلك حفيدة أختي بريجيت، وابنة عم ديانا وصديقنا القديم ديفيد فيلفين. إنه عيد عائلي حقيقي. لكن ايدفينا ماركوب قالت بأن هذا بالضبط ماكنتم تريدون أن تروه، عيد الميلاد على الطريقة القديمة. لكن لن تجد أكثر منا على الطريقة القديمة. زوجي، يجب أن أقول لكم، يعيش في الماضي تماماً. وهو يريد أن يبقى كل شيء كما كان بالضبط عندما كان صبياً في الثانية عشرة من عمره. ـ كل هذه عادات قديمة: شجرة الميلاد، الحساء، الديك الرومي، المشوية والمقلية، والبودينة الاحتفالية التي يجب أن نضع فيها الخاتم والأزرار وغيرها من الأمور، ويقدمون عندنا حلويات قديمة: الخوخ المحلى، واللوز والزبيب والفواكه المطلية بالسكر والزنجبيل. ياالهي كأنني أقرأ مايوجد في بقالية "فورتنام وميزن".

ـ لقد سال لعابي، مدام.

ـ أعتقد بأنه ليوم غد ستؤلمنا معدتنا، ـ قالت مسز ليسي ـ والآن لم يعتادوا كثيراً على الأكل، أليس كذلك؟

وقاطعتها الأصوات الصاخبة والضحكات الآتية من النافذة، وتطلعت إلى الخارج.

ـ أريد أن أعرف ماذا يفعلون هناك؟ يمكن أن تكون لعبة ما. كنت أخاف من أن يصيب الملل الشباب في عيد الميلاد، ولكن تبين بأن هذا على العكس. وكان من الصعب إرضاء ابني وابنتي وأصدقائهما فقد اعتقدوا بأن الاحتفال بعيد الميلاد في المنزل طريقة قديمة وكانوا يفضلون الذهاب إلى المطعم والرقص هناك. ولكن من الواضح أن الجيل الحالي يجد كل هذا جذاباً. عدا عن ذلك، ـ أضافت المسز ليسي

بشكل عملي ـ الطلاب والطالبات دائماً يريدون الطعام، ألا ترون ذلك؟ يجب أن يجوعوهم في هذه المدارس. وليس سراً بالنسبة لأحد أنه في هذا السن يأكل الأطفال ليس أقل من ثلاثة شباب يافعين.

ضحك بوارو وقال:

ـ كان أمراً رائعاً ياسيدتي أن تدعوني إلى عيدكم العائلي من جهتكم ومن جهة زوجكم.

ـ نحن كلانا في اندهاش، أؤكد لكم، ـ سارعت في إقناعه المسز ليسي ـ وإذا بدا لكم أن غوارتسي متذمر بعض الشيء، أضافت ليسي، فلا تولوا الاهتمام إلى هذا. لديه هذا الأسلوب فقط.

ـ لاأفهم لماذا كنت بحاجة لأن تدعي أحد هؤلاء الملاعين؟ سيفسد علينا عيد الميلاد؟ ألم يستطع الوصول في وقت آخر؟ لاأستطيع أن أتحمل هؤلاء الأجانب!

لكن، حسناً، حسناً، أن إيدفينا موركومب أرادت أن يحتفل معنا في عيد الميلاد ولماذا هو هنا. لماذا هي لم تدعوه بنفسها؟

جاوبت المسز ليسي: ولكنك تعرف جيداًأن ايدفينا تذهب في عيد الميلاد دائماً إلى مطعم "كلاريدج"

ألقى الزوج عليها نظرة ثاقبة واستعلم قائلاً:

ـ أنت تفكرين في شيء ما، أليس كذلك؟

ـ أنا؟ أفكر؟ ـ فتحت شفتيها الحمراوين كثيراً ـ طبعاً لا، ماذا دهاك؟

ضحك العقيد السابق ليسي ضحكة عميقة هادرة.

ـ لن أقول بأنك غير قادرة على ذلك. وخاصة عندما تبدين غير مذنبة، لديك دائماً شيء في رأسك.

وتابعت المسز ليسي كلامها متذكرة حديثها هذا....

ـ قالت ايدفينا من المحتمل أنكم تستطيعون مساعدتنا... لاأتخيل بأي طريقة، لكنّها أكدت لي بأنكم استطعتم إنقاذ أصدقائكم في ظروف مشابهة أنا... لكن أنتم، ربما لاتعرفون عن ماذا أتحدث؟

نظر بوارو إليها نظرة تنم عن الرضى. وكانت مسز ليسي في السبعينات من عمرها. وهي منتصبة تماماً وكان شعرها أبيضَ وخدودها وردية ولها عينان زرقاوان وأنف مضحك وذقن حازم.

قال بوارو: إذا كان هذا في مقدوري، سأكون سعيداً في مساعدتكم، وبقدر مافهمت فإن الحديث يدور عن عشق الفتاة الشابة المزعج.

وأومأت مسز ليسي برأسها:

ـ نعم، إنه لمدهش حقاً، بأن أتحدث معكم عن هذا، فأنتم بالنسبة لنا إنسان غريب.

ـ بالإضافة طبعاًإلى أنني أجنبي. .أضاف بوارو بمعنى خفي..

ـ هذا صحيح، أكدت المسز ليسي، وفي ذلك المعنى لعله أبسط. وعلى كل الأحوال. تعتقد إيدفينا بأنكم تعرفون شيئاً ما عن ديسموندلي ويرتلي هذا، وهذا يمكن أن يفيدنا.

لم يجاوب بوارو فوراً، وفكر بتعجب بحذاقة جيسموند، وكيف أنه استطاع بشكل ماهر استخدام السيدة موركومب لتحقيق غايته. وسألها بلطف:

ـ كما أعتقد، لدى هذا الإنسان صيتٌ ليس بالحسن؟

ـ إنكم لاتخطئون. فهو سيئ ببساطة. ولكن هذا لايؤثر على سارا، فالأمور مع الفتيات الشابات دائماًعلى هذا الشكل، أليس كذلك؟ ليس هناك أي معنى لإخبارهم بأن ذاك الذي يهمهم لايتمتع بسمعة طيبة،فهذا يجعله جذاباً في عيونهم.

قال بوارو:

ـ معكم كل الحق.

وتابعت السيدة ليسي:

ـ عندما كنت شابة (ياالهي،هذا منذ زمن بعيد) لم يسمحوا لنا بمصاحبة بعض الأشخاص، مما زاد اهتمامنا بهم، وإذا كنا استطعنا أن نرقص معهم أو البقاء معهم في خلوة ما أثناء الليل...، بدأت بالضحك هنا، لذلك لم أسمح لغوراتسي بأن يتخذ إجراءات حاسمة بالرغم من أنه ألح على هذا.

وسألها بوارو:

ـ قولي من فضلك، ماذا يقلقكم بالضبط؟

قالت السيدة ليسي:

ـ ابننا قتل أثناء الحرب، وعروستنا ماتت عند ولادة سارا، لذلك كانت الحفيدة معنا دائماً لقد قمنا بتربيتها.ربما لم نربّها بالشكل المعقول تماماً، لاأعرف. ولكننا اعتقدنا دائماً بأنه يجب علينا أن لانحد من حريتها قدر الإمكان. قال بوارو:

ـ في رأيي هذا معقول، لايجب التصدي لروح الزمن.

ـ وأنا كنت أعتقد هذا دائماً، فالتصرف مع الفتيات الشابات في زمننا فيه بعض الصعوبة.ونظر بوارو إليها بتساؤل:

ـ كيف يمكن قول هذا بشكل أفضل؟ تابعت كلامها مسز ليسي. ولكن انظروا، لقد ارتبطت سارا بمجموعة الرواد الدائمين للبارات والكافيتريات، وهي لاتريد أن تذهب إلى رقص الباليه أو الخروج إلى العالم كما هو متبع. وعوضاًعن هذا فقد استأجرت غرفتين جيدتين في تشيلسي عند النهر، وترتدي تلك الألبسة المضحكة التي تعجب الجميع وجوربين أسودين أو أخضرين فاتحين سميكين،ويجب أن تكون لاذعة جداً. بالإضافة إلى أنها تدور دون غسيل رأسها أو تسريحه.

ـ "Ca c est tout fait naturel". كلمة بالفرنسية تعني هذا طبيعي جداً. قال بوارو، هذا كله على الموضة، ومع الوقت سيقلعون عن هذه الأشياء.

ـ أنا أعرف، فهذا لايقلقني أبداً. لكنها، أترون ذلك، تلتقي مع ديسموند لي ـ أورتلي، ولديه في الواقع سمعة ليست على مايرام. ويقال بأنه يستغل نجاحه الكبير عند النساء ويعيش بشكل أساسي على حساب الفتيات المقتدرات. وقد تزوج من مس هوبي، لكن أهلها توجهوا إلى المحكمة وأقاموا عليها حجراًأو شيئاً من هذا القبيل. وبالطبع، يريد غوراتسي أن يتبع نفس الأسلوب. فهو يقول بأن هذا ضروري وذلك لحمايتها، ولكنني أعتقد بأن هذا غير معقول. فقد يفران ببساطة إلى اسكوتلنده أو ايرلنده أو الأرجنتين أو إلى أي مكان ما ويتزوجان هناك، وربما يعيشان هكذا دون زواج. وبالرغم من أن هذا

ينم عن عدم احترام للمحكمة ولكن هل تم حل المشكلة؟ وخاصة إذا انتظر طفلاً، وفي هذه الحالة ينبغي الاستسلام وإعطاء الموافقة على الزواج. وبقدر ماهو معروف لي، فإن الزوجين الشابين سينفصلان، والفتاة ترجع إلى بيتها كما هو متبع، وبعد مضي سنة أو سنتين تتزوج من إنسان لطيف لكنه ممل جداً، وكل شيء يعود كما كان. لكن هذا محزن بشكل خاص لأن هناك طفلاً وعلاقة زوج الأم بطفل زوجته ليست كعلاقة الأب بطفله، حتى وإن كان زوج الأم طيباً. لا، أعتقد أنه في سنوات شبابي كانوا يتصرفون بشكل أفضل، وكما هي العادة، الإنسان الذي أحبته الفتاة كان لعبة غير مرغوب فيها، وأتذكر كيف أحببت شاباً بجنون، ياإلهي، ماذا كان اسمه؟ كم هو غريب، لا أستطيع أبداً أن أتذكر اسمه! وكانت كنيته "تيبيت"، الشاب تيبيت، ومفهوم أن والدي منعه من المجيء إلى البيت، ولكن دعونا مرة إلى تلك المجموعة ورقصت معه، وأحياناً كنا نخرج معاً ونجلس نحن الاثنين معاًفي أي مكان كان، وفي أحد الأيام قام أصحابنا برحلة استجمامية والتقينا أنا وهو هناك أيضاً، كل هذا كان ممنوعاً ولكننا كنا نشعر به بفرح وسرور، ولكننا لم نتخطَّ الحواجز كما تفعل الفتيات المعاصرات الآن، وبعد مضي فترة من الزمن اختفى آل تيبيت من حياتنا. بإمكانكم أن تتخيلوا أنني التقيت به منذ أربع سنوات، ولم أستطع أن أفهم أبداًماذا وجدت فيه في ذلك الوقت؟ فقد بدا لي شاباً مملاً ولايثير الاهتمام وتافهاً، صدقني، وكمحاور كان يبدو عديم النفع. ونوه بوارو قائلاً: يتراءى لنا دائماً بأن سنوات شبابنا هي أروع السنوات.

ـ أعرف، وهذا متعب للمحيطين بنا، أليس كذلك؟ أنا لاأريد أن أضغط على سارا، فهي فتاة رائعة حقاً، ولكن مع ذلك لاأريدها أن

تتزوج من ديسموند لي ـ أورتلي، وقد كانت منذ الطفولة رفيقة ديفيد فيلفين الذي يستضيف عندنا، وقد كانا مرتبطين ببعضهما البعض، وكنا نأمل أنا وغوراتسي بأن يتزوجا عندما يكبران. لكنها الآن بالطبع، فهي تجده قليل الاهتمام ومتعلقة كثيراً بديسموند.

قال بوارو: لاأفهم تماماً ياسيدتي،هو أيضاً، أي ديسموند لي أورتلي، ضيفٌ عندكم؟

جاوبت المسز ليسي: نعم، وغوراتسي كان ضد ذلك كما تعرفون، وبالطبع في سنوات شبابنا، الأب أو ولي أمر الفتاة كان سيتوجه إلى شقة الشاب حاملاً معه سوطاً! وقرر غوراتسي أن يمنع الشاب من المجيء إلى البيت ويمنع سارا أيضاً من الالتقاء معه، ولكنني قررت بأن هذا يمكن أن يكون خطأً فادحاً، وقلت، لا، من الأفضل أن تدعوه إلى هنا ليأتي ويحتفل بعيد الميلاد في محيط عائلتنا. وكان زوجي كما هو معروف يعتقد بأنني قد جننت، ولكني قلت: "على كل حال، يجب أن نحاول، ولتنظر إليه في جونا، في بيتنا. سنرحب به كثيراً وسنكون معه لطيفين جداً، يمكن بعد ذلك، أن تكف عن اعتباره شاباً هاماً". وأضاف بوارو موافقاًعلى ذلك: أعتقد ياسيدتي بأن هناك شيئاً من هذا القبيل وكما يقال إنه رأي صائب، وهو معقول أكثر مما يقترحه زوجك.

ـ نأمل بأن يكون كذلك، قالت المسز ليسي ببعض الشك، ولكن النتائج مازالت غير كبيرة

بالرغم من أنه منذ يومين فقط هنا. وفجأة ظهرت غمازة على وجهها الأجعد ـ أعترف لكم ياسيد بوارو بأنه رغماً عني قد بدأ يعجبني هو أيضاً، ولاأريد أن أقول بأنه يعجبني بالفعل، لكن لديه

جاذبية وهذا واضح بالنسبة لي، وأنا أرى بأن سارة تجد فيه هذا بالضبط ولكنني كبيرة بالعمر وخبيرة كي أفهم بأنه على كل الأحوال لايلائمها أبداً.بالرغم من أنه اجتماعي. وبالمناسبة، أضافت ليسي بقليل من الأسف ـ لديه بعض الملامح الجيدة بالفعل، وقد طلب الموافقة على اصطحاب أخته التي أجري لها عملية جراحية ومنذ وقت قصير أخرجوها من المستشفى، كان مؤلماً. كما قال هو،تركها هناك خلال أعياد الميلاد، وإذا كانت إقامتها ستزعجكم كثيراً لكنت أخذتها معي.وأعلن بأنه سيحمل لها الطعام ويعتني بها بشكل عام. أليس هذا تصرفاًجيداً،ألا تعتقدون كذلك ياسيد بوارو؟ نوه بوارو مستغرقاً في التفكير:هذا يدل على علاقته الجيدة مع أخته، بالرغم من أن هذا لايرتبط بوصفكم لطابع الشاب.

ـ الحق لاأعرف، يبدو لي بأنه ربما يكون مشدوداً لأقاربه وفي نفس الوقت لديه الرغبة في اقتناص الفتيات الشابات، وأنتم تعرفون بأن سارا فتاة غنية جداً، ونحن سنترك لها القليل لأن الجزء الأكبر من رأسمالنا بالإضافة إلى العقارات سينتقل إلى كولين، حفيدنا. لكن أمه تتمتع بنفوذ كبير، وسارا سترثه كله عندما تصبح في الحادية والعشرين، وهي الآن في العشرين فقط. لا، أعتقد، بأنه من جهة ديسموند كان تصرفه طيباًباعتنائه بأخته، وكذلك هو لم يصورها إلا كما هي بالفعل. واختصاصها هو كاتبة اختزال. وتعمل سكرتيرة في لندن. وقد تمسك بكلمته وكان يركض إلى الأعلى وإلى الأسفل ليحمل إليها الطعام، ليس كل مرة بالطبع ولكن غالباً ماكان يفعل هذا. لذلك أنا أعتقد بأن لديه الكثير من الصفات الإيجابية، غير أنني ضد أن تتزوجه، قالت ذلك بشكل حازم. فقال بوارو: كل ماسمعته يقنعني

بأنه لو حصل ذلك لكانت تعاسة كبيرة. وسألته ليسي: كيف ترون، هل ستستطيعو، سا ـدتنا؟

وأجاب ـ ـارو: على الأرجح، لكنني لن أعدكم كثيراً. والأمر ينحصر في أن السادة ديسموند لي ـ أورتلي أذكياء، ياسيدتي. لكن يجب أن لانيأس، ربما نحقق شيئاً. وعلى كل الأحوال، سأضع كل إمكانياتي من أجل هذا، على الأقل كشكر على دعوتكم لي ـ تلفت بوارو حوله ـ وفي أيامنا هذه من المفروض أن الاحتفال بعيد الميلاد على الطريقة المعاصرة ليس سهلاً تماماً؟

تنفست مسز ليسي الصعداء وانحنت قليلاً إلى الأمام: في الحقيقة ليس سهلاًأتعرف ياسيد بوارو بماذا أنا أحلم، وماذا أريد بالفعل؟

ـ قولي من فضلك ياسيدتي.

ـ أريد حقاً أن أعيش في بيت خلوي ذي علية صغير وعصري، ولكن ربما تكون كلمة بيت خلوي ليس بالكلمة المناسبة، والأفضل أن تكون كلمة/في بيت صغير عصري/ حيث من السهل ترتيبه وتنظيفه، ويمكن بناء هذا البيت في أي مكان من الحديقة. ويكون فيه مطبخ رائع مع كل أدواته العصرية وتختفي فيه أيضاًالممرات الطويلة ويكون كل شيء فيه سهلاً ومريحاً.

ـ في واقع الأمر إنها لفكرة عملية ياسيدتي.

ـ لكن بالنسبة لي لايمكن تحقيقها، نوهت المسز ليسي ـ فزوجي يعشق هذا البيت، ويعجبه حقاًالعيش هنا، وهو مسالم ولاينزعج من بعض الأشياء غير المريحة الموجودة هنا، ولكنه يفقد عقله من فكرة العيش في بيت خلوي ذي علية.

ـ إذا تضحين بنفسك من أجله؟

استقامت المسز ليسي. وقالت:

ـ بالنسبة لي إنها ليست تضحية ياسيد بوارو، عندما تزوجت من غوراتسي كنت أحلم بأن أجعل منه سعيداً. كان طيباً وزوجاً حنوناً كل تلك السنوات وأنا أريد بأن يكون سعيداً.

وسألها بوارو:

ـ وهل ستعيشون هنا في المستقبل أيضاً؟

ـ ولكن العيش هنامريح وليس كما تعتقدون؟

ـ لا، لا، سارع بوارو في تأكيده، على العكس إنه بيت مريح جداً. التدفئة المركزية والمياه الساخنة ـ رائعتان.

ـ لقد صرفنا الكثير من النقود كي تكون الحياة جيدة هنا، وقد تمكنا من بيع قسم من أرضنا "الصالحة للاستعمال" ولحسن الحظ فإن هذا الجزء يقع في الناحية الثانية من الحديقة وهو غير مرئي من البيت.

جزء ليس جميلاً أبداً الحق يقال، ولكننا بعناه بربح كبير، وهذا سمح لنا بتجهيز البيت من جديد بوجود أشياء مريحة جداً.

ـ وكيف الحال مع الخدم، ياسيدتي.

ـ ليس هناك صعوبات في هذا الأمر، وهو أمر غريب وليس متوقعاً. وليس من المعقول أن تعتقدوا بأن الخدم سيخدمونكم ويعتنون بكم كما تعودتم من قبل. يأتي إلينا من القرية بعض الأشخاص، امرأتان في الصباح، وأخريان تحضّران الغداء وتقومان بالجلي، وفي المساء يتغيّرن

من جديد. هناك الكثير يوافقون على العمل بضعة ساعات في اليوم، وأما فيما يخص عيد الميلاد فكل شيء على مايرام. العزيزة المس روس تأتي دائماًكل عيد. وهي تحضر بشكل رائع وهي طباخة من الطراز الأول. تركتنا منذ عشر سنوات لكنها تأتي كل مرة عندما يكون ذلك ضرورياً، عدا ذلك هناك العزيز بيغيريل.

ـ عامل القصر عندكم؟

ـ نعم، لقد ذهب وهو يعيش في بيت صغير بالقرب من البوابة. ولكنه مخلص جداً لنا، فكل مرة يلح على أن يخدمنا، أتصدقون ياسيد بوارو لكنه هرم جداًبحيث لايستطيع الحركة، حتى يخيل لي بأنه عندما يحمل أي شيء ثقيل يبدو لي بأنه سيسقط. والنظر إليه يسبب لي تعاسة حقيقية. وقلبه ضعيف، وأخاف عليه لأنه يعمل كثيراًجداً. ولكن إذا لم أسمح له بالمجيء فإنه يشعر باستياء كبير، ويبدأ بالتأوه والنواح عندما يرى إلى أي حالة وصلت إليها الأواني الفضية، وبعد ثلاثة أيام من وصوله تعود الأواني إلى لمعانها من جديد. نعم إنه صديق مخلص عزيز، وهنا تبسمت لبوارو ـ وهكذا، ترون أننا مستعدون للعيد، بالإضافة إلى أنه سيكون عيداًأبيضَ.قالت ذلك وهي تنظر إلى النافذة، ـ أترون؟ لقد سقط الثلج وهاهم الأولاد يرجعون. أردت أن أعرفهم عليك ياسيد بوارو.

المسز ليسي قدمت إليه أولاًحسب العادات حفيدها كولين وصديقه مايكل، وهما شابان رائعان متربيان في الخامسة عشرة وأحدهما كان أصهبَ، والآخر أشقرَ، وبعدها ابنة عمهم بريجيت، وهي فتاة تتمتع بالحيوية بشكل نادر وذات شعر أسود.

ـ وهذه حفيدتي سارا، قالت المسز ليسي.

تطلع بوارو إلى الفتاة الجذابة بشعرها الكثيف الأحمر. وأسلوبها أو طريقتها في التصرف. بدت له في البداية مضطربة، حتى إنها متحرشة، ولكن في كلامها إلى جدتها تبين أنها متعلقة بها كثيراً.

ـ وهذا السيد لي أورتلي.

وكان السيد لي أورتلي يرتدي بزة بحار وبنطالاً من الجينز، وشعره كان طويلاًوكان من الصعب التأكد بأنه قد حلق ذقنه في الصباح. وعلى العكس تماماًكان الشاب الذي قدمته ليسي وهو ديفيد فيلفين. فقد كان يبدو مكتنز البدن هادئاً وذا بسمة لطيفة وكل مظهره كان يدل على أنه مرتبط بالماء والصابون، ومن ضمن المجموعة التي دخلت كان هناك فتاة جميلة مع بعض التوتر في وجهها وكان اسمها ديانا ميدلتون.

أتوا بالشاي مع العديد من الفطائر والخبز وثلاثة أنواع من البسكويت. وكان الشباب يظهرون اهتماماًواجباًتجاه الطعام، وآخر إنسان دخل إلى غرفة الضيوف كان العقيد ليسي، وكان يتمتم حيث قال:

ـ الشاي، نعم، الشاي.

أخذ فنجانه من زوجته ووضع لنفسه فطيرتين. وكان ينظر إلى ديسموند لي ـ أورتلي بتقزز واشمئزاز، وجلس بعيداًعنه قدر مااستطاع. كان شخصاًطويل القامة وذا حاجبين كثيفين ووجه أحمر لفحته الرياح، وكان يمكن وصفه بالمزارع مع أنه يوصف بمالك لعزبة أرستقراطية.

وقال: لقد سقط الثلج، وسيكون عيداًأبيضَ حقيقياً.

بعد الشاي تفرقت المجموعة في اتّجاهات متعددة.

قالت السيدة ليسي موجهة كلامها إلى بوارو:

ـ على الأرجح سيشغلون الآن آلة التسجيل.

تطلعت بفضول إلى آثار حفيدها الذي خرج من الغرفة، ودوت كلماتها وكأنها تتحدث عن الأطفال الذين يريدون أن يلعبوا لعبة الجنود واللصوص. وأضافت:

ـ إنهم يفهمون بالطبع في التقنية، وهم يختالون في هذا الخصوص إلا أن الفتيان مع بريجيت قرروا الذهاب إلى البحيرة ومشاهدة هل سيكون هناك جليد صلب وكاف كي يتزلجوا.

ـ كان يبدو لي في الصباح بأنه بالإمكان التزلج، لكن العجوز هو جكينز لم يسمح بذلك فهو دائماًحذرجداً.

ـ فلنذهب لنتنزه ياديفيد، قالت ديانا ميدلتون بهدوء.

تردد ديفيد لثوان. وكانت عيناه متسمرتين نحو رأس سارا الأحمر. فقد كانت تقف بالقرب من ديسموند لي ـ أورتلي وكانت تنظر إليه باستمرار.

رد ديفيد: حسناً فلنذهب.

وهرعت ديانا وأمسكته من يده وتوجها نحو الباب. وسألت سارا:

ـ ربما علينا الذهاب أيضاً، ديسموند؟ ففي المنزل ملل وسأم.

ـ ماهذه السعادة التي تكمن في السير على الأقدام؟ قال ذلك

ديسموند ـ سأقود السيارة وسنذهب إلى "الخنزير المرقط" ونشرب شيئاًما هناك.

واقترحت سارا بعد لحظات من التردد:

ـ الأفضل أن نذهب إلى "الأيل الأبيض"، في ماركت ليدبوري، هناك سنفرح أكثر.

لم يخطر في بال سارا أبداًأن تذهب إلى بار محلي مع ديسموند، بالرغم من أنها لم تعترف بهذا أبداً. ولكان هذا يعتبر نقيضاًلكل عادات كينغ ليسي، فنساؤهم لم تذهب أبداًإلى "الخنزير المرقط"، كان شعورها غامضاًلأنها بذهابها إلى هنالك، تكون وكأنها تخون العقيد السابق ليسي وزوجته. لماذا؟ سأل ديسموتد بشكل منطقي. ولكن كان عليه وحده أن يعرف لماذا، فكرت سارا بتوتر بسيط وهل هناك سبب جدي لتكدير عجوزيها الغاليين، الجدة والغالية إيم؟ فطيبتهما مدهشة فهما يسمحان لها بالعيش في تشيلس، واتباع طريقة الحياة التي تعجبها من دون أن تعرفا لماذا ضروري هذا لها، ولكنهما تفهمان بأن هذا ماتحب أن تعمله. والفضل يعود إلى إيم، وإذا لم تكن إيم موجودة لكان الجد جعل من هذا الأمر مشكلة.

لم يكن لدى سارا أية شكوك أو أوهام بخصوص رأي الجد في هذا الخصوص. وحتى إن دعوة ديسموند للضيافة في كينغ ليسي لم تكن بفضله، بل بفضل إيم، إيم رائعة حقاً.

عندما ذهب ديسموند لجلب السيارة حشرت سارا رأسها في باب الصالون.

ـ نحن سنذهب إلى ماركت ليدبوري ـ قالت سارا ـ وسندخل إلى "الأيل الأبيض". كان في لهجتها نوع قليل من التحدي ولكن المسز ليسي لم تعر ذلك أي اهتمام. وقالت: حسناً ياعزيزتي لاأشك بأنكم ستقضون وقتاًطيباً، وهاهما ديانا وديفيد ذهبا للتنزه، وأنا سعيدة، كم هذا جميل، وذلك بأن خطرت في بالي فكرة دعوة ديانا إلى عيد الميلاد. مؤلم حقاًأن تبقى أرملة في هذا العمر فهي في الثا: ة والعشرين فقط، أرجو بأن تتزوج من جديد وبسرعة.

نظرت سارا إليها باهتمام.

ـ هل فكرت في شيء.. إيم؟ سألتها، وقالت السيدة ليسي بفرح.

ـ لدي بالواقع مخطط صغير، وأعتقد بأنها مايريده ديفيد، وأعرف بالطبع بأنه أحبك بجنون، ياسارا، ياحبيبتي، لكنه لايعجبك، وأنا فهمت بنفسي بأن هذا ليس فتى أحلامك. ولاأريد بأن يستمر في العذاب، وأعتقد بأن ديانا تناسبه. قالت سارا:

ـ كم تحبين أن تخطبي لأحدهم؟

ـ أعرف، كل النساء الكبيرات على هذا الشكل، يبدو لي بأن ديانا قد أحبته. وأنت ألا تعتقدين بأنها تناسبه؟ وقالت سارا:

ـ أظن أنه لا، وحسب رأيي وديانا، كيف أقول لك هذا، جدية كثيراًوحساسة جداً، وأظن أن ديفيد سيضجر منها بسرعة.

ـ لا، لاأعتقد، وتعالي لنرى، أنت على كل حال لاتريدين الزواج منه ياعزيزتي؟ سألتها السيدة ليسي.

ـ لا، لا، قالت سارا ذلك بسرعة وفجأة أضافت بتوتر: إن ديسموند يعجبك أليس كذلك ياإيم؟

ـ نعم فهو يبدو لي لطيفاً.

ـ ولكن جدي لم يعجبه. وقالت ليسي ملاحظة: ولكن لايمكنك الاعتماد على هذا، كما تعرفين، ولكن أعتقد بأنه سيغير علاقته تجاهه عندما يتعود على هذه الفكرة، ولايجب أن تخشيه ياعزيزتي، فالأشخاص الكبار يغيرون آراءهم ببطء، وجدك عنيد فيما يخص هذا الأمر.

قالت سارا:

ـ لايهمني مايقوله أو مايفكر به جدي. سأتزوج ديسموند عندما أريد هذا.

ـ أعرف ياحبيبتي، أعرف، ولكن حاولي أن تنظري إلى هذا الأمر بشكل صحي. فالجد يمكن أن يسبب لك الكثير من المتاعب. فأنت لم تبلغي سن الرشد بعد. وخلال سنة تستطيعين أن تتصرفي كما يحلو لك، وأنا افترض بأن جدك سيتفهم قرارك باكراً. وسألتها سارا:

ـ ولكنك في سني ياعزيزتي؟ وقامت وعانقت جدتها وقبلتها.

ـ أريدك أن تكوني سعيدة، وهذا كل شيء. آه هاهو صديقك قد أتى بالسيارة، أتعرفين يعجبني البنطال الضيق الذي يلبسه الآن الشباب. مهذب جداً، لكن للأسف يجعل ركبهم واضحة.

نعم، فكرت سارا، ففي الواقع ركبتا ديسموند بارزتان بالرغم من

أنها لم تلاحظ ذلك أبداً من قبل. وقدمت ليسي لها نصيحة قائلة:

ـ اذهبي، ياحبيبتي وتمتعي قليلاً.

وكانت تنظر إليها من النافذة حتى جلست في السيارة، بعد ذلك تذكرت ضيفها الغريب وتوجهت نحو المكتبة إلا أنها عندما نظرت إلى هناك رأت أن إيركول بوارو قد غفا، ضحكت وذهبت من خلال الممر إلى المطبخ كي تستشير مسز روس.

قال ديسموند:

ـ لنذهب ياصغيرتي، ماذا حصل، لقد أحدث أقرباؤك ضجة لأنك ستذهبين إلى البار؟ لقد بقوا هنا لسنوات عديدة، ألا ترين ذلك؟

جاوبته سارا بحدة وجلست في السيارة: لم يكن في نيتهم الاعتراض على ذلك؟

ـ قولي لي من فضلك، ماالذي دعاهم لأن يدعوا هذا الأجنبي؟ فهو على مايبدو رجل تحر؟ ماذا يمكن البحث عنه هنا؟ ووضحت سارا له:

ـ هو هنا ليس كرجل تحر، عرابتي إيدفينا موركومب طلبت أن ندعوه. وكما أعرف، فهو لايمارس هنا مهنته؟

قال ديسموند:

ـ بالنظر إلى وصفك، يمكن القول بأن هذا حصان أعرج محطم قديم.

ـ أعتقد أنه يريد أن يرى احتفال عيد الميلاد في انكلترا. قالت سارا ذلك بشكل غير مباشر.

وضحك ديسموند باستهزاء.

ـ ماهذا الهراء من هذه الأعياد؟ لاأفهم كيف تتحملين ذلك.

أرجعت سارا شعرها الأحمر ورفعت ذقنها وكأنها تستعد للحرب وقالت:

ـ هذا يروق لي.

ـ لاأصدق، ودعينا نترك هذا للغد. ولنذهب إلى سكاربورو أو إلى أي مكان آخر.

ـ هذا لايمكن أبداً.

ـ لمـاذا؟

ـ آه، هذا يمكن أن يسيء إليهم

ـ هـراء، وأنت تعرفين بنفسك بأنه لايمكن أن يروق لك هذا السخف العاطفي الطفولي.

ـ ربـما، أليس من الجدية...

وهنا توقفت سارا وخمنت بطريقة مذنبة بأنها تنتظر بفارغ الصبر قدوم عيد الميلاد. كل شيء في هذا العيد يعجبها لكنها خجلت من أن تعترف بهذا لديسموند. والان كان من الممكن أن لايكون لطيفاًالتعلق بعيد الميلاد وأفراح العائلة، وللحظة فكرت بأنه كان من الأفضل لو لم يأتِ ديسموند إلى عيد الميلاد. والحق يقال، كانت ترغب تقريباًبأن لاياتي ديسموند إلى هنا أبداً. ومقابلته في لندن كانت أفضل وأروع مما هي في القرية.

في ذلك الوقت رجع الشبان وبريجيت من البحيرة، وكانوا مايزالون

يبحثون مشكلة التزلج وكان الثلج مازال يسقط ويسقط وشكل السماء كان ينذر بهبوب عاصفة ثلجية قوية.

قال كولين: سيسقط الثلج كل الليل، هذا واضح، وأنا مستعد لأراهن بأنه لصباح العيد سنلاحظ كثيباً ثلجياً بارتفاع قدمين على الأقل.

كانت هذه مبادرة جميلة.

واقترح مايكل: دعونا نعمل رجل ثلج.

ـ ياإلهي، قال كولين، لم أمارس هذا منذ كان عمري أربع سنوات.

وقالت بريجيت:

ـ لاأعتقد بأن هذا سهل، فيجب أن نعرف كيف نعمل هذا.

ـ بإمكاننا أن ننحت صورة بوارو، قال ذلك كولين، ونجملها بأن نضع له شاربين أسودين. لقد رأيت زوجين من هذين الشاربين في صندوق المواد التنكرية. قال مايكل بعناية:

ـ لاأفهم كيف استطاع سيد بوارو هذا أن يصبح رجل تحر مغيراً بذلك منظره الخارجي. وأكدت بريجيت ذلك حيث قالت:

ـ نـعم، لاأستطيع أن أتصور بأنه يركض مع مجهر في يديه للبحث عن أدلة أو يتقصى الآثار.

ـ لدي فكرة، صاح كولين، تعالوا نمثل له كوميديا.

ـ ماذا تعني؟ سألته بريجيت.

ـ نقيم له جريمة قتل.

ـ هذه بالفعل فكرة. قالت بريجيت بدهشة. أنت تريد أن تقول الجثة على الثلج، وشيء من هذا القبيل؟

ـ بالضبط، وسيشعر وكأنه في حالة طوارئ، أليس كذلك؟

قهقهت بريجيت:

ـ من يعرفه!

ـ قال كولين: إذا لم يتوقف الثلج، ستبدو جريمتنا أكثر فعالية. الجثة والآثار على الثلج، يجب أن نفكر بذلك جيداً. سنأخذ خنجرين خاصين بالجدين، وسنعمل بقع الدم من الدهان.

توقفوا، ومن دون إعارة اهتمام لسقوط الثلج المتسارع، وأصبحوا يناقشون تفاصيل المسرحية القادمة بإثارة.

ـ هناك علبة مع أدوات التجميل يمكن أن نأخذها. القرمز يناسب برأيي.

ـ يبدو لي القرمز أوضح قليلاً مما هو ضروري ـ قالت بريجيت ـ ويجب أن تكون البقع سمراء داكنة.

ـ ومن سيصور الجثة الميتة؟ سأل مايكل.

ـ أنا، قالت بريجيت ذلك بسرعة.

ـ اسمع، تدخل كولين، أنا كنت مستعداً لألعب هذا الدور.

ـ لا، لا، صرخت بريجيت، أنا ولاأحد غيري. هذا الدور يجب أن تلعبه فتاة. تخيلوا هذا المنظر المثير: فتاة دون حياة على الثلج.

ـ رائعة، ها، ها ـ قال مايكل ساخراً.

ـ عدا عن هذا، لدي شعر أسود، قالت بريجيت.

ـ وماذا في ذلك؟

ـ آه، سيبرز على الثلج، وأنا أيضاً سألبس بيجامتي الحمراء.

ـ إذا كنت سترتدين البيجامة الحمراء فإن بقع الدم لن تكون واضحة ـ أشار إلى ذلك مايكل العملي.

ـ وبالإضافة إلى ذلك. ستكون فعالة أكثر على الثلج ـ اعترضت بريجيت ـ وبعد ذلك لديّ زينة بيضاء، وسيكون الدم واضحاً عليها. آه، سيكون هذا مدهشاً. كيف تعتقدون هل سنتمكن من فعل هذا؟

ـ نعـم، إذا عملنا كل شيء كما ينبغي ـ قال مايكل ـ على الثلج ستكون آثارك فقط، وآثار شخص آخر، الشخص الذي سيحمل الجثة بالطبع، ولن يقرر بوارو أن يقترب كي لايدوس بأقدامه، لذلك لن يلاحظ بأنك بالفعل حية، وماذا لو... ـ توقف مايكل المندهش بفكرة مفاجئة، تطلع رفاقه إليه ـ لا تعتقدوا بأن هذا سيكون لطيفاًله؟

أجابت بريجيت بثقة: لا، سيفهم بالطبع بأننا اردنا أن نسليه، ونروح عن نفسه قليلاًفي عيد الميلاد، فكر كولين بعمق وقال: يبدو لي أنه أثناء عيد الميلاد لايجب أن نفعل ذلك وهيهات أن يعجب ذلك الجدة.

اقترحت بريجيت: في اليوم الثاني عندما يقدمون الهدايا.

ـ نعم سيكون هذا مناسباً.

ـ وسيكون لدينا وقت كاف كي نتهيأ، تابعت بريجيت ـ وعلينا عمل كثير نعمله. لنذهب ونبحث عن كل شيء ضروري لنـــا.

وسارعوا إلى البيت.

في ذلك المساء كان لدى الجميع أعمال كثيرة. وجلبوا إلى البيت Oxanku مدبية الوجه ونبات الدبق، ووضعوا شجرة الميلاد في البوفيه. والكل ساعد في تجميلها، وتثبيت الأغصان.

- لم يخطر في بالي أبداًبأن هذا المصطلح القديم مازال موجوداً - قالها ديسموند بهمس منحنياً إلى أذن سارا وضحك بسخرية.

- لقد عملنا هذا دائماً، جاوبته سارا، وكأنها تبرر ذلك.
- هذه ليست حجة.
- آه من فضلك كف عن التذمر ياديسموند، هذا يعجبني.
- سارا حبيبتي لايمكن أن يكون هذا.
- ولكن ليس في الحقيقة، ولعله ليس إلى هذا الحد.
- من منا سيقرر الذهاب إلى القداس الليلي بالرغم من وجود الثلج؟ سألت ذلك المسز ليسي عندما كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة إلا عشرين دقيقة.

قال ديسموند:

- إلا أنا، هيا ياسارا.

أخذها من يدها وتوجه نحو المكتبة واقترب من الخزانة التي توجد فيها الأسطوانات. وقال: لكل واحد منا حد لتناول الطعام ياعزيزتي، أنت فكري فقط، القداس الليلي.

- نعم، في الواقع، جاوبت سارا.

ولكن باقي الشباب وافق على الذهاب. وكانت الكنيسة تقع على

بعد ١٠ دقائق من البيت سيراًعلى الأقدام. ويصخب وضحك كلا الشّابين، بريجيت وديفيد وديانا ذهبوا، وبالتدريج اختفت ضحكاتهم.

ـ القداس الليلي، قال العقيد ليسي، متذمراً، لم أذهب ابداً إلى القداس الليلي في شبابي. القداس، ياله من شيء عجيب، آه، اعذرني ياسيد بوارو. حرك بوارو يده مهدئاً.

ـ كل شيء على مايرام، لاتعيروني اهتمامكم من فضلكم.

ـ برأيي، يكفي أي إنسان صلاة الصبح فقط، قال ذلك العقيد، وهذه خدمة حقيقية في يوم الأحد، وكل الأغاني القديمة في الأعياد. وبعد ذلك إلى المنزل، والغداء الاحتفالي، اليس كذلك، ياإيم؟

ـ نعم ياعزيزي ـ قالت مسز ليسي ـ من أجلنـا. لكن الشباب يعجبهم الاحتفال الليلي، وهذا بالنسبة لي شيء رائع بأن يوجدوا هناك.

ـ عدا سارا وهذا الشاب.

ـ أترى ياعزيزي، أعتقد بأنك تخطئ. كانت سارا تريد ذلك، ولكنها لم تقرر أن تعترف.

ـ ولكن لماذا تهتم لآراء هذا الشخص؟ لا، هذا فوق طاقة عقلي.

ـ إنها مازالت شابة فقط ـ قالت ليسي بطيبة ـ أنتم اذهبوا إلى النوم الآن ياسيد بوارو؟ ليلة طيبة، وأحلاماً جميلة.

ـ وأنت ياسيدتي؟ ألن تذهبوا؟

ـ الآن لا، يجب أن أضع الهدايا للشبان وهم بشكل عام ليسوا أطفالاً، بيد أنهم سيجدون هذه الهدايا ويكون رائعاً لهم. وسأضع

أشياء مختلفة، للضحك فقط، وكل هذا ببساطة في سبيل المرح.

ـ إنكم تفعلون الكثير كي يصبح هذا البيت سعيداً ـ أشار بوارو ـ أنا معجب بكم.

ورفع يدها وقبلها بطريقة رائعة.

ـ آم، تمتم العقيد ليسي عندما خرج بوارو، لدى هذا الشاب لسان منمق، وهل يعرف كيف يقدره.

ضحكت مسز ليسي له وظهرت الغمازة على خدّها.

ـ ألا ترى ياغوراتسي بأنني أقف تحت نبات الدبق(*)، سألته بخجل، كما تسأل فتاة في التاسعة عشرة من عمرها.

دخل بوارو إلى غرفة نومه الواسعة والمدفأة بشكل جيد من التدفئة المركزية. ولدى اقترابه من السرير القديم والكبير وجد على وسادته ظرفاً، فتحه، وانتشل منه ورقة كان مكتوباً عليها بقلم رصاص العبارة التالية:

"لاتأكلوا أي قطعة من البودينج(**) الاحتفالي.

محب الخير لكم".

حملق بوارو ورفع حاجبيه. وتمتم:

(*) في أعياد الميلاد حسب العادات الإنكليزية، يزينون المنزل بضفائر الزهور وعندما يكون أحدهم واقفاً تحته عندئذ يمكن تقبيله.

(**) نوع من الطعام يقدم في أعياد الميلاد.

ـ شيء غامض، وغير متوقع أبداً.

تم الجلوس على طاولة العيد في الساعة الثانية نهاراً. كان هذا وليمة حقيقية. كانت الحطبات الكبيرة تفرقع بمرح في المدفأة. ولكن الأعلى من هدا كان ضجة الأصوات الأخرى التي تتحدث في نفس الوقت. حساء الطيور تم شربه ومن بعده الديك الرومي وعظامه المتبقية تم تنظيفها. وأتت لحظة الاحتفال، جلبوا البودينج! بيفيرل ذو الثمانين عاماً بالرغم من ضعف يديه ورجليه لم يرد أن يقدم هذا الشرف لأحد. والمسز ليسي كانت خانقة وضغطت على يديها بعصبية، لم تكن تشك أبداً أنه في مثل هذه اللحظات الاحتفالية بيفيريل سيقع للمرة الأخيرة، وكانت أمام خيار واضح: أتسمح له بالموت أو الاستهزاء من أحاسيسه لدرجة يشعر فيها بأنه يموت فعلاً وهي حتى الآن لم تختر إلا الاحتمال الأول. ظهر البودينغ في إناء فضي بحلته الرائعة: كرة قدم حقيقية وليس بودينج، في وسطه كما علم النصر، ارتفعت أغصان وحبات نبات الأوراق المدببة، ومن حوله تراقصت ألسنة حمراء وزرقاء من اللهيب. والجميع حيا ظهور البودينج بصرخات فرحة.

استطاعت ليسي أن تفعل شيئاً واحداً: تمكنت من إقناع بيفيريل بأن لايوزع الطعام على الحاضرين وإنما وضع الطعام أمامها. عندما تم وضع البودينج على المائدة، خرجت منها زفرة ارتياح وأصبحت توزع الصحون بسرعة.

ـ أضمروا رغبة ياسيد بوارو، قالت بريجيت أسرعوا مادامت النار مشتعلة في البودينج، جدتي، جدتي، بسرعة، بسرعة.

استلقت المسز ليسي على الكرسي بارتياح، ونجح البودينج تماماً. وأمام كل واحد كانت حصته مشتعلة، وساد الصمت حول الطاولة لدقيقة: الكل سارع إلى إضمار رغبة معينة.

لم يلاحظ أحد التعبير الغريب على وجه بوارو عندما نظر إلى حصته من البـ .ينج الموضوعة أمامه: "لاتأكلوا أي قطعة من البودينج" ماذا، هل كان يعني ذلك للجميع إنذاراً قاتماً؟ وحصته لم تكن تختلف عن بقية حصص الجميع. واعترف بنفسه بتنهيدة بأنه مرتبك، وبوارو لم يكن يحب أن يقوم بهذه الاعترافات. أخذ بيده الشوكة والملعقة.

- المزيد من الصلصة ياسيد بوارو؟

ووضع الصلصة مع الشكر.

سأل العقيد من الناحية الأخرى للطاولة: من جديد اقتبسوا من Epeugu آه ياإيم؟

وبرقت عينا ليسي: وقالت:

- أترى، ياعزيزي، مس روس تصر على ذلك، وهي تقول بأن كمية الصلصة ترتبط بنوع الـ Epeugu.

«لاشيء، لاشيء» هدأ العقيد من روعها، عيد الميلاد يصادف مرة واحدة في العام، وأما فيما يخص مس روس فهي امرأة رائعة، إمرأة رائعة وطاهية ممتازة.

- هذا صحيح، أكد ذلك كولين، كان البودينج ممتازاً، وتابع طعامه برضى ولذة. وهم بوارو أن يتناول طعامه من صحنه بانتباه ويتوجس،

تناول ملعقة واحدة، كان البودينج مدهشاً، تناول الثانية، شيء ما صلصل في صحنه، غرز الشوكة في البودينج، وبريجيت التي كانت جالسة على يساره أتت لمساعدته.

ـ هل وجدتم شيئاًياسيد بوارو، قالت له، ماهذا، إنه ممتع حقاً؟

فصل بوارو المادة الفضية الصغيرة عن حبات الزبيب الباقية له.

وصاحت بريجيت:

ـ آه، آه، إنها "زر العازب"، لقد وجد السيد بوارو "زر العازب".

وضع بوارو الزر الفضي في كأس لغسله، ونظفه ونزع عنه فُتات الخبز. وقال:

ـ إنه رائع جداً. وفسر كولين بشكل لطيف:

ـ هذا يعني بأنكم ستبقون عازباًياسيد بوارو. وقال بوارو بشكل جدي:

ـ كما توقعت، لقد كنت عازباًسنوات عديدة وهناك احتمال ضئيل في أن يتغير هذا الوضع الآن.

وأشار مايكل: يجب علينا أن لانقسم دائماً، فمنذ عدة أيام قرأت في الجريدة عن شخص في الخامسة والتسعين من عمره تزوج فتاة يبلغ عمرها ٢٢ سنة.

وختم بوارو حديثه قائلاً:

ـ هذا يعني بأنه لايجب علي أن أفقد الأمل.

في هذه اللحظة أصدر العقيد فجأة صرخة عجب، وأصبح وجهه أرجوانياً، ورفع يده إلى فمه، وتمتم:

ـ اللعنة، إميلينا لماذا سمحت للطباخة بوضع الزجاج في البودينج؟

وسألته ليسي بتعجب:

ـ الزجاج؟

أخرج العقيد من فمه الشيء الذي أثار استياءه. وتمتم قائلاً:

ـ كنت سأكسر سني وأبلع هذه المادة اللعينة ولأصبح عندي الزائدة.

وضع قطعة الزجاج في كأس ماء وغسله وأراه للجميع، وصرخ قائلاً:

ـ ياإلهي، الرحمة! إنه حجر أحمر من كسارة الجوز.

مال بوارو برشاقة من خلال جارته وأخذ الحجر من يدي العقيد ليسي ونظر إليه بانتباه، كان الحجر ضخماً وذكره من خلال لونه بالياقوت الأحمر. عندما أداره، انعكس لونه على ضلوعه ولمعت. وفجأة صدرت قرقعة ما. أحد الجالسين أرجع كرسيه وأعاده من جديد. وصفر مايكل:

ـ أف، كم كان رائعاً لو أنه بدا حقيقياً.

وقالت بريجيت بصوت مشوبٍ بالأمل: وربما حقيقي بالفعل.

ـ آه، لاتكوني مجنونة. الأحجار بهذا الحجم تساوي عدة آلاف من الجنيهات. أليس كذلك ياسيد بوارو؟

ـ نعـم، بالفعل.

وقالت المسز ليسي:

ـ لكن ليس مفهوماً لي أبداً، كيف ظهر في البودينج؟ وقال كولين صائحاً:

ـ آه، وأثار اهتمامهشيء مافيآخر قطعة من البودينج الذي أكله_لقد وجدت خنزيراً. هذا محزن وبدأت بريجيت بالغناء:

ـ حصل كولين على "خنزير"! حصل كولين على "خنزير" ـ كولين ـ خنزير بخيل شره.

وقالت ديانا بصوت عال وواضح: لقد وجدت خاتماً.

ـ هذا جيد ياديانا ستتزوجين قبل الجميع.

وقالت بريجيت بأنين: وأنا وجدت كشتباناً. وصاح الفتيان:

نعـم، ستبقين يابريجيت أرملة عجوزاً.

ـ ومن وجد قطعة نقود؟ سأل ديفيد؟ مس روس قالت لي بأنه يوجد قطعة نقود ذهبية حقيقية في البودينج وهي بقيمة عشرة شلنات.

وأعلن ديسموند لي أورتلي:

ـ أنا هذا السعيد.

وسمع الجالسون بالقرب من العقيد ليسي كيف كان يتمتم:

ـ كما كنت أتوقع.

وأعلن ديفيد. وأنا وجدت خاتماً أيضاً، ونظر إلى ديانا، توافق عجيب ألا ترون ذلك.

تابع الجميع ضحكهم ولم يلحظ أحد منهم كيف أن بوارو وضع الحجر في جيبه بحركة خفيفة.

وبعد البودينج قدم للحضور الفطائر والجوز والزبيب، وبعد ذلك حلويات عيد الميلاد. بعد ذلك أوى صاحبا البيت إلى فراشهما قبل تناول الشاي، في الوقت الذي كان عليهما أن يشعلا الشموع على شجرة الميلاد. إلا أن بوارو لم يفكر في أن يذهب ليرتاح. وعوضاً عن ذلك توجه إلى المطبخ الكبير القديم.

- هل مسموح لي. سأل بوارو ضاحكاًبشكل متألق، بأن أهنئ الطباخ لتحضيره هذا الغذاء المدهش والذي لم يتسنّ لي أن أتذوق مثله أبداً؟

بعد دقيقة من التوقف خرجت مس روس للقائه بشكل احتفالي. كانت امرأة ضخمة وبدينة جداً. وكانت تتحرك كما بطلات المسرح. وفي البوفيه المطل على المطبخ كان هناك امرأتان نحيفتان وشعرهما أبيض، وكانتا تغسلان الصحون، وكذلك فتاة تروح جيئة وذهاباًبين المطبخ والبوفيه، وكنّ جميعهنّ على مايبدو مساعداتٍ فقط، وملكة المطبخ دون أي منازع كانت المسز روس.

قالت المس روس بشكل لطيف:

- إنه لشرف لي أن سمع ياسيدي بأنه قد أعجبكم.

- أعجبني! - هتف بذلك بوارو بصوت عالٍ وبحركة سخيفة وغير انكليزية رفع يدها إلى شفتيه وقبلها وبعد ذلك وبحركة وكأنه يوجهها نحو الأعلى قبلها أيضاً - أنت عظيمة يامس روس، عبقرية حقيقية، لم

آكل في حياتي مثل هذا ـ حساءالطيور.. ـ وتمطق بلسانه بطريقة معبرة ـ والديك الرومي مع أوراق الكستناء، كانت بالنسبة لي وحياً حقيقياً.

ـ هذا لطف منكم أن تلاحظوا ذلك ياسيدي ـ وجاوبته بلطف أيضاً مس روس ـ لقد تم تحضير هذه الحشوة بوصفة خاصة، قالها لي طباخ نمساوي. وقد عملت معه منذ عدة سنوات مضت، وأما الباقي فهو من المطبخ الإنكليزي البسيط اللذيذ.

وسألها بوارو:

ـ وهل هناك شيء أفضل منها؟

ـ إنها لسعادة حقاًآن تتحدثوا هكذا ياسيدي كجنتلمان غريب كان يمكنكم أن تفضلوا المطبخ الدولي على الرغم من أنه لايمكن القول بأنني لست قادرة على تحضير المطبخ الدولي أيضاً.

وأنا متأكد يامس روس بأنك تستطيعين أن تعملي كل ماهو ضروري، ولكن يجب أن أقول لكم بأن المطبخ الإنكليزي، وأنا أقصد المطبخ اللذيذ الإنكليزي، وليس الذي يقدمونه كوجبة ثانية أو في المطاعم، يقدر كثيراًمن قبل متذوقي الطعام، وإذا لم أخطئ ففي بداية القرن التاسع تم إرسال بعثة خاصة بالطعام من لندن إلى فرنسا، وكتبت في تقاريرها عن البودينج الإنكليزي الرائع. وفي أول الأمر ـ تابع بوارو كلامه بحرارة عن البودينج لذي يقدم في أعياد الميلاد، كالذي تناولناه اليوم. فقد تم تحضيره في المنزل، أليس كذلك، أم تم شراؤه؟

ـ بالتمام ياسيدي، فأنا أحضرته بنفسي بوصفة شخصية كما كنت

أنعله منذ سنوات عديدة. مس ليسي، يجب أن أقول لكم، اقترحت علي أن نشتري البودينج من لندن كي تسهل لي عملي. آه، لا ـ اعترضت قائلة ـ أنتم طيبون جداًياسيدتي، لكن البودينج الذي نشتريه لايمكن أن نقارنه بالمنزلي، ولاحظوا ياسيد بوارو ـ تابعت مس روس كلامها باهتمام بالغ ـ لاحظوا بأنه صنعناه متأخرين.

البودينج الخاص بعيد الميلاد يجب أن يتم تحضيره قبل عدة أسابيع من الميلاد ويتم وضعه في الثلاجة، وكلما كان أكثر ولوقت طويل كلما كان ألذ واطيب. وأذكر عندما كنت طفلة وكنا نذهب إلى الكنيسة في أيام الأحد، كنا ننتظر دائماً صلاة خاصة والتي كانت تعتبر كإشارة للبدء بتحضير البودينج. وفي يوم الأحد تقوم الصلاة وفي الأسبوع القادم لاأكثر فإن أمي بالتأكيد تكون قد حضرت البودينج للعيد. وهكذا كان علينا أن نعمل في هذه السنة أيضاً. ولكن حصل مالم يكن في الحسبان، البودينج تم تحضيره قبل ثلاثة أيام فقط، من مجيئكم، يا سيدي. وكيفما كان الأمر لقد صنعت كل شيء كما يجب. وكل الذين يعيشون في هذا المنزل عليهم أن يصلوا إلى المطبخ ويشاركوا في تخليط البودينج وضمر رغبة خاصة بهم. هذه هي العادات القديمة عندنا يا سيدي. وأنا دائماً متمسكة بها.

قال بوارو: هذا ممتع حقاً. وماذا، هل أتى الجميع إلى هنا؟

ـ نعم يا سيدي، الفتيان المهذبون ومس بريجيت والجنتلمان اللندني الذي يستضيف هنا والسيد ديفيد وميس ديانا (كان يجب أن أقول بالطبع ميس ميدلتون) وكل واحد منهم شارك في صنع البودينج.

ـ كم واحداً عملتم؟ واحداً فقط؟

ـ لا يا سيدي، أربعة، أثنان كبيران والآخران صغيران، وأنا أريد أن أقدم أحدالكبيرين في عيد رأس السنة، والصغيران مخصصان للعقيد ومسز ليسي، عندما يبقيان وحدهما، والآخرون يذهبون.

ـ أفهم، أفهم. وقالت مسز روس:

ـ الحق يقال لم تتناولوا البودينج المخصص لليوم كما كان يجب..

ـ ليس ذلك البودينج؟ تعجب بوارو ـ كيف ذلك؟

ـ أترون يا سيدي، لدينا شكل كبير للبودينج المخصص لأعياد الميلاد. الشكل الفخاري مع الزخرفة النافرة من "OCMjnesncta" على غطائها. والبودينج في عيد الميلاد حضرناه دائماً فيها. لكن اليوم حصلت أشياء غير متوقعة في الصباح عندما كانت "إيني" تحضره من الرف في المخزن. انزلق الوعاء من يدها ووقع على الأرض وانكسر. وبالطبع لم أستطع يا سيدي أن أقدم هذا البودينج وربما وقع فيه بعض الكسرات الباقية. لذلك استعملنا ذلك الذي كنا ستقدمه في السنة الجديدة. وهو أيضاً شكل جديد، ولا أعرف من أين سنحضر عوضاً عن الذي انكسر، فهو نادر الآن.

ـ هذا صحيح، أكد ذلك بوارو ـ ورغم ذلك لقد كان رائعاً. وقد احتفل بعيد الميلاد هنا كما في السنوات الماضية. أتوافقون معي؟

تنفّست مس روس الصعداء:

ـ إني سعيدة جداً لأنكم تتكلمون هكذا. يا سيدي ولكن بالطبع ليس لدي الآن مساعدون كما كان سابقاً. مساعدون خبراء، أردت القول. الفتيات في وقتنا.، وأخفضت صوتها بشكل ملحوظ ـ لا

أستطيع أن أقول عنهنّ أي شيء سيء.. فهن الآن غيورات ولطيفات لكن لسن مهذبات، إذا فهمتم ماذا أعني.

وأكد بوارو: نعم الأوقات تتغير، وأنا أجد أيضاً بأن هذا مؤسف.

- هذا المنزل يا سيدي، قالت مس روس - ضخم جداً بالنسبة للعقيد وزوجته. وصاحبة البيت تعرف هذا، والعيش كما يعيشون هم، آخذين قسماً من المنزل فقط - لا أجد هذا الأمر جيداً. والمنزل يحيا كما يقال في عيد الميلاد فقط عندما تجتمع كل العائلة.

- حسب ماأعرف بأن السيد لي أورتلي وأخته يستضيفان هنا لأول مرة أليس كذلك؟

- نعم يا سيدي، وأصبح صوتها أكثر حذراً - إنه شاب لطيف ولكن حسب اعتقادنا لا يناسب مس سارا وبالمناسبة، فإنهم ينظرون بطريقة أخرى إلى الأشياء هذه. كم هو مؤلم أن حالة أخته سيئة. فقد أجري لها عملية جراحية. في اليوم الأول لوصولهما كانت تبدو معافاة ولكن في المساء بعد أن شاركنا في صنع البودينج أصبحت حالتها سيئة من جديد ومنذ ذلك الوقت وهي تستلقي في الفراش. أعتقد بأنها قامت مبكراً بعد العملية. آخ.. من هؤلاء الأطباء المعاصرين، يخرجون المرضى من المشافي عندما لا يستطيع هؤلاء المشي مطلقاً. نعم هكذا كانت زوجة ابن عمي..

واندفعت مس روس في وصف طويل ورائع للعلاج الطبي الذي قام به أقاربها. وعبر بوارو عن أسفه بطريقة مناسبة لذلك.

وختم حديثه قائلاً: يبقى لي أن أشكركم على ذلك الغذاء الرائع

والمدهش اسمحوا لي أن أعرض عليكم برهاني المتواضع لاعجابي.

وخرجت ورقة من فئة الخمسة جنيهات من يده إلى يد مس روس التي قالت:

لكن يا سيدي، لا يجب أن تفعلوا هذا.

ـ لا، لا، أنا ألح عليكم.

ـ أنتم طيبون، طيبون يا سيدي، وتقبلت مس روس الورقة وقالت: ولكم يا سيدي أتمنى عيد ميلاد سعيداً وسنة جديدة رائعة.

وانتهى يوم الاحتفال بعيد الميلاد كما بقية الأيام الأخرى. فقد أناروا شجرة الميلاد وبالاضافة إلى تقديم الشاي قدموا أيضاً قالب حلوى رائعاً. واستقبلوه بترحاب واندهاش ولكن تناولوه باعتدال. وبعد ذلك كان هناك عشاء بارد. بوارو كما الآخرون ذهبوا إلى النوم...

قالت المسز ليسي: تصبحون على خير سيد بوارو. آمل بأن تكونوا قد قضيتم وقتاً ممتعاً.

ـ لقد كان يوماً رائعاً يا سيدتي، ومدهشاً حقاً.

ـ يبدو عليكم بأنكم مستغرقون في التفكير.

ـ أنا أفكر بالبودينج الإنكليزي.

ـ لقد وجدتموه ثقيلاً؟ سألته مسز ليسي بلطف.

ـ لا، لا، أنا لاأتكلم عنه من وجهة نظر الغذاء. فأنا أفكر في أهميته.

ـ حسناً فهي مرتبطة بالعادات، قالت ليسي ـ ليلة هادئة ياسيد

بوارو، ولتحلموا أحلاماً سعيدة عن البودينج في عيد الميلاد والحلويات اللذيذة الحلوة.

قال بوارو في نفسه وهو ينزع ثيابه ـ نعم، هذا البودينج، في الواقع مشكلة. هناك شيء لاأفهمه ـ وحرك رأسه بضجر ـ سنرى ماالعمل.

بعد أن قام ببعض التحضيرات والاستعدادات استلقى بوارو لينام، ولكن من الواضح بأنه لايستطيع.

بعد ساعتين تكلل صبره بالنجاح. فقد فتح باب غرفة نومه بهدوء، وضحك في نفسه، كل شيء سار كما كان يتوقع. ورجعت أفكاره للحظة إلى فنجان القهوة الذي أعطاه إياه ديسموند لي ـ أورتلي أثناء العشاء. وعندما ابتعد ديسموند عنه وضع الفنجان لدقيقة على الطاولة وبعدها رفعه، وكان ديسموند يمكنه أن يقتنع بأن بوارو قد شرب الفنجان حتى آخر قطرة منه. لكن ابنسامة ساخرة من بوارو حركت شواربه، وفكر بأن هناك أحداً غيره وليس هو ينام بعمق في هذه الليلة. "هذا الشاب الرائع ديفيد ـ قال بوارو لنفسه ـ قلق وغير سعيد، ولايضره أن ينام قليلاً. والآن لننظر ماذا سيحدث".

كان بوارو يستلقي بهدوء ويتنفس بانتظام مصدراً من وقت لآخر ليس شخيراً، بل إشارة صغيرة للشخير.

اقترب أحدهم من سريره وانحنى عليه، بعد ذلك متأكداً من أن بوارو ينام. استدار الضيف وتوجه نحو الطاولة وبمساعدة ضوء صغير صار يتطلع إلى أشياء بوارو الموضوعة بدقة. وتحسست أصابعه الورقة وفتح دون إصدار أي ضجيج صغير الدرج تلو الآخر وبعدها أصبح

يفتش في ملابس بوارو. في النهاية اقترب الضيف من جديد من سرير بوارو، ومد يده بهدوء تحت الوسادة، عندما سحب يده وقف لبضع ثوان في تردد، كما لو أن الشك سيساوره فيما يفعل بعد ذلك ودار في الغرفة متطلعاً إلى كل المزهريات ودخل في الحمام وخرج من هناك ومن ثم تمتم بعض الكلمات غير المفهومة وترك الغرفة.

ـ آه هكذا إذن، قال ذلك بوارو بدون صوت ـ يعني خاب أملك؟ نعم،نعم، لقد خاب أملك كثيراً. وهل من المعقول أن تعتقدوا بشكل جدي بأن إيركول بوارو يخبئ شيئاًما هناك حيث يمكن أن تجدوه؟

بعد ذلك استدار على الجانب الآخر وغفا بسلام.

في الصباح التالي أيقظته قرعة واحدة على الباب، ولكنهاقرعة قوية.

ـ Qui est la (كلمة فرنسية تعني من هناك م.) ادخل، ادخل.

فتح الباب ووقف عند العتبة كولين الذي يلهث، وكان وجهه أحمرَمن الاضطراب وبدا خلفه مايكل.

ـ سيد بوارو، سيد بوارو.

ـ نعم، وجلس بوارو على الفراش، هل جلبتم لي الشاي آخ لا، هذا أنتم كولين، ماذا حدث؟

صمت كولين لدقيقة، وبدا أنه مضطرب جداً. وفي الواقع بدا أنه قد ابتلع لسانه عندما رأى بوارو في ثياب النوم. وأخيراً، باذلاً جهداً أكبر تكلم:

ـ آه، ياسيد بوارو، ألا يمكنكم أن تساعدونا؟ لقد حصل شيء رهيب.

ـ ماذا بالضبط؟

ـ إنها... إنها بريجيت ـ إنها مستلقية هناك على الثلج... ويبدو لي... بأنها لاتتحرك ولاتتكلم.. آه، الأفضل أن تخرجوا وتشاهدوها بأنفسكم. إني أشعر بالخوف.. أخاف.. بأن تكون ميتة؟

ـ ماذا؟

ودفع بوارو الغطاء

ـ الآنسة بريجيت ميتة؟

ـ أعتقد.. بأنها قد قتلت. هناك دم. اذهبوا بسرعة من فضلك.

ـ بالطبع، بالطبع، لحظة واحدة.

وبسرعة كبيرة قام بوارو ولبس حذاءه ووضع المانطو على بيجامته وقال:

ـ أنا جاهز، هل أيقظتم الجميع في المنزل؟

ـ لا، لم نتحدث لأحد، سواكم، اعتقدنا بأن هذا أفضل. ولم تقم الجدة ولا الجد بعد، وفي الأسفل يحضرون الطاولة ولم نقل لهم شيئاً. إنها ـ بريجيت ـ مستلقية على الجانب الآخر من المنزل بالقرب من الطريق ونافذة المكتبة.

ـ مفهوم، اذهبوا إلى الأمام، وأنا سأتبعكم.

ونزل كولين أولاً على الدرج مستديراً كي يخفي ابتسامته الساخرة، وخرجوا من المدخل من خلال الباب الجانبي. كان الصباح جميلاً، ومنذ قليل أشرقت الشمس في الأفق. ولم يكن يسقط الثلج، ولكن

كل مامن حولهم كان مغطى بغطاء أبيض جميل. وبدا بأن الجو صاف ورائع.

ـ هناك! قال كولين متنهداً، هناك.

وبحركة دراماتيكية أشار إلى شيء ما.

المسرح الذي عبر عن نظراتهم كان بالفعل دراماتيكياً. بريجيت مستلقية على الثلج على بعد عدة خطوات، كانت عليها بيجامة ومنديل أبيض على كتفيها. وكان على المنديل بقع حمراء، ورأسها يميل إلى جنبها، ووجهها مغطى بشعرها الأسود. ويدها مضمومة نحو جسدها والأخرى ممدة إلى جانبها، وأصابعها مضمومة. وفي وسط البقع الحمراء قبضة الخنجر الذي عرضه عليهم قبل الحفلة العقيد ليسي.

ـ Mon dieu (كلمة فرنسية تعني ياإلهي م.) هتف بوارو، تماماً كما في المسرح. أصدر مايكل صوتاً ضعيفاً، وكأنه قد غص، وكولين رمى نفسه عليه للمساعدة، محاولاًأن يصلح الوضع. وقال:

ـ أنا أعرف، بأن هذا كله يبدو غير حقيقي. أليس كذلك؟ أترون هذه الآثار؟ ويبدو أنه لايجب أن نلمسها؟

ـ آه نعم، الآثار. لا، يجب أن نكون حذرين كي لانمحوها.

ـ وأنا أعتقدت ذلك، قال كولين، لذلك لاأريد بأن يقترب أحد ما إليها قبلكم. وفكرت في أنكم تعرفون كيف التصرف في مثل هذه الأحوال.

ـ مهما كان الأمر، اعترض بوارو قائلاً ـ أول شيء يجب أن نعمله هو أن نعرف إن كانت حية أم ميتة، أليس كذلك؟

ـ نعم معقول، أكد ذلك مايكل بغضب ـ لكن نحن اعتقدنا..لم نرد.. أريد أن أقول.

ـ آه لقد كنتم حذرين جداً لقد قرأتم القصص البوليسية كثيراً. من الضروري أن لايلمس أحدكم شيئاًويجب أن تبقى الجثة كما هي في وضعها الحالي كما وجدت. ولكن نحن لسنا متأكدين إن كانت هذه جثة. في نهاية المطاف وبالرغم من أن الحذر والكيفية الرائعة والإنسانية العادية يجب أن تكون في المقام الأول. ألا تعتقدون بأنه يجب أن نفكر بالطبيب قبل أن نستدعي الشرطة؟

ـ آه، نعم، طبعاً، أكد ذلك كولين المأخوذ بالدهشة.

وأضاف مايكل مسرعاً: نحن فكرنا فقط، نحن اعتقدنا بأنه من الأفضل اخباركم قبل كل شيء. وقرر بوارو:

ـ حسناً، في هذه الحالة، ابقيا أنتما الاثنين هنا، وأنا سأدور من الجهة الأخرى كي لاتمحو تلك الآثار، يالها من آثار رائعة، أليس كذلك؟ وهي واضحة جداً. آثار شاب وفتاة تصل إلى ذلك المكان حيث تستلقي. ومن ثم آثار رجل تدل على اتجاه معاكس، ولكن لم تعد هناك آثار الفتاة.

ـ إنها آثار القاتل، كيف تعتقدون؟ اقترح كولين، كاتماً أنفاسه. فقال بوارو:

ـإنها آثار القاتل بالفعل، خطوة طويلة وضيقة وحذاء غير طبيعي تقريباً. آثار ممتعة حقاً، وكما أعتقد يمكن معرفتها بسهولة. نعم، هذه الآثار ستلعب دوراً هاماً.

خرج ديسموند لي أورتلي وسارا في هذا الوقت وانضّما إليهم.

وسأل ديسموند بشكل مسرحي: ماذا تفعلون هنا؟ لقد رأيتكم من نافذة غرفة نومي، ماذا حدث؟ ياإلهي، ماهذا؟ هذا يشبه..يشبه..

ـ وأتم إيركول بوارو كلامه: نعم بالضبط، هذا يشبه جريمة قتل أليس كذلك؟

لم يكن في مقدور سارا أن تتكلم أي كلمة ونظرت نظرة ملؤها الشك إلى الشبان.

وسأل ديسموند: تريدون القول بأن أحدهم قد قتل هذه الفتاة ـ لقد نسيت اسمها ـ هذه بريجيت؟ من كان بحاجة لأن يقتلها؟ هذا غير منطقي.

قال بوارو: الكثير من الأشياء تبدو غير منطقية، وخاصة قبل الإفطار. ألستم موافقين معي؟ وهذه كلمات أحد كتابنا: "ستة أشياء غير ممكنة قبل الإفطار" ـ وأضاف بوارو بعد ذلك: انتظروني هنا من فضلكم.

ودار من حولهم واقترب من بريجيت وللحظة انحنى على جسمها. وارتجف مايكل وكولين من الضحك. اقتربت سارا منهما وسألتهما بهدوء: ماذا فعلتما هنا؟

وهمس كولين: لكن، بريجيت قوية، ولن تهتز.

وتمتم مايكل: لم أشاهد في حياتي إنساناًميتاً هكذا.

واستقام إيركول بوارو. وقال:

ـ هذا مرعب.

وكان في صوته قلق واضح لم يكن من قبل.

لم يكن في مقدور مايكل وكولين أن يكفا عن الضحك، واستدارا وسأل مايكل بصوت متوتر: ماذا ـ ماذا سنفعل الآن؟ وجاوبه بوارو: بقي شيء واحد، يجب أن نستدعي الشرطة، وربما أحدكم قد فعل هذا، أتظنّون بأني أنا الذي فعلت هذا؟ وقال كولين: أعتقد... أعتقد... وأنت، كيف ترى الأمر يامايكل؟

قال له: نعم، أنا أعتقد أيضاًبأن اللعبة قد انتهت.

تقدم خطوة إلى الأمام، وبدا الآن غير واثق، وقال:

ـ اعذرونا من فضلكم، أرجو أن لاتكونوا قد غضبتم. لقد كانت هذه مزحة عيد الميلاد، وهذا كل شيء. أردنا أن نلهو، جريمة قتل لكم...

ـ أردتم أن تلهو لأجلي بجريمة قتل؟ في هذه الحالة، هذا...هذا...

وشرح الأمر كولين: هذه ضحكة فقط فكرنا فيها، كي تشعروا وكأنكم في مهمتكم.

ـ آه هكذا إذن ـ قال بوارو ـ أفهم. لقد أردتم أن تهزؤوا بي كما في أول نيسان. ولكن اليوم ليس ١ نيسان بل ٢٦ كانون الأول.

وتابع كولين: على مايبدو لم يكن علينا أن نعمل هذا، لكن... لكن لاتغضبوا كثيراً قل لي ياسيد بوارو؟ بريجيت! انهضي. يبدو أنك تجمدت من البرد.

إلا أن الجسد لم يتحرك على الثلج.

ـ غريب، قال بوارو ـ وكأنها لاتسمعكم ـ ونظر إليهم متفحصاً ـ تقولون هذه مزحة، هل أنتم واثقون من هذا؟ قال كولين وفي صوته بعض الخطر:

ـ طبعاً، لم نفكر بأن هذا سيضرها.

ـ وماذا إذا الآنسة بريجيت لم تنهض؟ قال كولين:

ـ أنا نفسي لاأفهم.

وصاحت سارا بتسرع: بريجيت، بريجيت ـ كفي عن الجنون وانهضي.

قال كولين برعب: نحن متأسفون جداً ياسيد بوارو ـ اعذرنا من فضلك.

وقال بوارو بصوت غير طبيعي: ولماذا تتأسفون؟

نظر إليه كولين بعينيه واستدار من جديد نحو الفتاة: ماذا تريدون أن تقولوا؟ بريجيت، بريجيت، ماذا حصل لك! لماذا لاتنهضين؟ لماذا هي مازالت مستلقية؟ قام بوارو بعمل إشارة لديسموند كي يقترب:

ـ أنت ياسيد لي أورتلي، اقترب مني من فضلك.

اقترب ديسموند: فقال بوارو له:

ـ جسوا نبضها.

وانحنى ديسموند، ولمس يدها من رسغها:

ـ لايسمع النبض ـ وحملق في عيني بوارو ـ يدها ميتة، ياإلهي، إنها ميتة بالفعل! وأومأ بوارو برأسه. وقال:

ـ نعم، إنها ميتة، أحدهم حول الكوميديا إلى تراجيديا.

ـ أحدهم؟ من تقصدون.

ـ هنا، العديد من الآثار التي تؤدي إلى جسد الآنسة. هذه الآثار شبيهة جداً بالآثار التي تركتموها أنتم ياسيد لي ـ أورتلي، عندما اجتزت الطريق إلى هذا المكان. استدار لي ـ أورتلي وقال:

ـ ماهذا بحق الشيطان؟ أنت تتهمني، أليس كذلك؟ أنا؟ لقد جننت! ولماذا أقتلها؟

ـ لماذا؟ في الواقع، لماذا؟ الآن سنرى...

وانحنى وبحذر قوّم أصابع بريجيت المضمومة وغير المتحركة.

تنفس ديسموند بصعوبة، ونظر إلى الأسفل غير مصدق عينيه، وكان في كفها حجر كبير شبيه بالياقوت الأحمر. وهتف:

ـ إنها تلك القطعة اللعينة من البودينج! وسأله بوارو:

ـ حقيقة؟ أنت واثق؟

ـ بالطبع.

وبحركة سريعة انحنى ديسموند على بريجيت وأخذ الحجر الأحمر. وقال بوارو بعتاب:

ـ لايجب أن تفعل هذا، وممنوع أن تلمس أي شيء.

ـ لكن أنا انحنيت على الجسد، أليس كذلك؟ وفيما يخص هذه القطعة، كان يمكن أن تضيع في هذا الثلج، وهذا دليل. وأهم شيء هو أن تأتي الشرطة بسرعة. سأذهب وأتصل بهم.

استدار وركض بسرعة إلى البيت. واقتربت سارا من بوارو. وهمست له وكان وجهها شاحباًحتى الموت: أنا لاأفهم، أنا لاأفهم شيئاً ـ وأخذت بوارو من يده ـ ماذا تعنون عندما تحدثتم عن الآثار؟

ـ انظري بنفسك ياآنسة.

الآثار الأولية التي تؤدي إلى الجسم ومنه. لم تختلف بشيء عن تلك التي تركها ديسموند لي ـ أورتلي عندما تبع بوارو.

ـ أتعتقدون بأنه كان ديسموند؟ إنه كلام فارغ.

وسمع في الهواء الطلق هدير محرك، الجميع استدار ورأى سيارة تسير بسرعة كبيرة من البيت. لقد عرفتها سارا.

ـ هذا ديسموند ـ قالت هي ـ هذه سيارته هو... نعم، يمكن أن يكون قد ذهب لجلب الشرطة، بدلاً من أن يتصل بهم.

خرجت ديانا ميدلتون من البيت وتوجهت إليهم. وسألتهم بصوت متقطع:

ـ ماذا حدث؟ دخل ديسموند منذ قليل إلى المنزل، صرخ، بأن بريجيت مقتولة، حاول أن يتصل لكن الهاتف لم يعمل. وقال، بأنه ربما تكون الأسلاك قد قطعت ويبقى أن يذهب بنفسه إلى الشرطة. لماذا الشرطة؟

قام بوارو بحركة غير معينة بيده.

ـ بريجيت؟ ـ نظرت ديانا إليه بعينيها الواسعتين ـ ألم تكن هذه نكتة؟ لقد سمعت شيئاً مساءً بالأمس، لقد كانوا يخططون للهو معكم، ياسيد بوارو.

قال بوارو: نعم، في البداية حاولوا أن يلهوا معي في الواقع، لكن لنذهب إلى المنزل أفضل، وهنا يمكن أن نصاب ببرد مميت، وعلى كل حال لانستطيع أن نفعل شيئاً،حتى يرجع السيد ديسموند مع الشرطة.

واحتج كولين:لكن اسمحوا لي، لانستطيع أن نترك بريجيت هنا وحدها؟

ـ لاتستطيعون أن تساعدوها بشيء ببقائكم هنا ـ قال ذلك بوارو بلطف ـ هيهات.إنها تراجيديا مرعبة، لكننا لانستطيع أن نفعل شيئاً للآنسة بريجيت، لندخل إلى المنزل، ونتدفأ قليلاًولنشرب ربما الشاي أو القهوة.

وتبعوه إلى المنزل دون معارضة، وبيفيريل كان يريد أن يدق الجرس، فقد وجد الأمر غريباًأن يخرج القسم الأكبر من الأشخاص في البيت في هذه الساعة المتأخرة وأن بوارو كان في البيجامة ومعطفه على كتفيه. بالرغم من عمره، فقد بقي بيفيريل مخلصاً. لم يلاحظ أنهم لم ينتبهوا إليه، ودخل الجميع إلى البوفيه وجلسوا خلف الطاولة، حيث أمام كل واحد منهم كان هناك فنجان من القهوة وبدؤوا يشربون. وتكلم بوارو:

ـ أريد أن أقص عليكم قصة صغيرة، لاأعرف أن أحكيها لكم بالتفصيل بل سأقول لكم المهم، الحديث يدور عن أمير شاب وصل إلى هذا البلد. وكان معه حجرثمينٌ غالي الثمن، كي يجري عليه بعض التعديلات لأنه قرر أن يتزوج، وللأسف، قبل رجوعه من لندن، ترافق مع إحداهن وكانت جيدة. وهذه السيدة لم تهتم به هو، وإنما الذي جذب انتباهها الحجر الغالي الثمن. وقد أعجبها كثيراًلدرجة أنها في

أحد الأيام اختفت مع هذا الحجر الغالي التاريخي الذي يعود إلى العائلة المالكة لأجيال عديدة. وبهذا الشكل أصبح الفتى في وضع صعب لايحسد عليه، وأهم شيء بالنسبة له هو أن لاتثار أي فضيحة لذلك لم يستطع أن يتوجه إلى الشرطة. عندئذ أتى إلي. إيركول بوارو "أرجوك، قال هو، أعيدوا لي هذا الحجر من الياقوت الأحمر" - Eh bien (كلمة فرنسية تعني، حسناً. م.) وتبين بأن لدى هذه السيدة الشابة رفيقاً وهذا الرفيق قام بعدة عمليات مشكوك بها. وكان متورطاً بالتخويف، وكذلك في بيع الأحجار الكريمة إلى الخارج. بقيامه بهذه العمليات كان يتصرف في كل مرة بذكاء، شكوا في أمره، لكن لم يستطيعوا أن يبرهنوا أي شيء. ولقد علمت بأن هذا الجنتلمان الذكي يجب أن يقضي عيد الميلاد في هذا المنزل. وفوراًبعد سرقة الحجر الكريم كان على السيدة الشابة أن تختفي قليلاًكي لاتتعرض للضغط والسؤال - الخ. لذلك فإن الشاب المهذب الذكي حاول أن يوحي بأنها تريد أيضاًأن تأتي إلى كينغ ليسي بهيئة أخته...

تنفست سارا بصعوبة.

- هذا لايمكن أن يكون! لن يجرؤ على جلبها إلى بيتي.

- ولكن هذا ماحصل - قال بوارو - وبحيلة صغيرة سهلة تمكنت أنا أيضاًمن القدوم إلى هنا إلى عيد الميلاد. ويفترض بأن السيدة الشابة قد خرجت للتو من المشفى، وبوصولها إلى هنا ستشعر بتحسن أكثر. ولكن فجأة يعلن بأن إيركول بوارو سيستضيف هنا أيضاً، رجل التحري المشهور. أصيبت بالذعر وحاولت أن تخفي الياقوت الأحمر في أول مكان تصادفه، وبعد هذا فوراًتشعر بوعكة من جديد وتستلقي

في الفراش. وهي لاتريد بأن أراها، لأنني أملك صورتها وأستطيع أن أتعرف عليها. وهي تشعر بضجر مميت ولكن لاتستطيع عمل شيء لذلك بقيت في غرفتها، وأما أخوها فهو يحمل لها الطعام.

ـ والياقوت الأحمر؟ ـ سأل مايكل.

قال بوارو: أعتقد أنه في تلك اللحظة التي تم فيها الحديث عن قدومي إلى هنا، كانت الشابة في المطبخ معكم جميعاً، ضاحكة، ومثرثرة لأنها تصنع معكم البودينج. وعجينة البودينج توضع في كؤوس خاصة، والشابة تضع في أحدها الياقوت الأحمر. مدخلة إياه في البودينج القادم. ليس في ذلك الذي كان مخصصاً لعيد الميلاد ـ فهي تعرف جيداً، بأنه يكون ذا شكل خاص ـ البودينج ـ وتضعه في ذلك الذي سيقدم في السنة الجديدة. وهي ستترك كينغ ليسي، من دون أن تنتظر السنة الجديدة وبدون أي شك تأمل بأن تأخذ البودينج معها. وهنا تتدخل الصدفة. صباحاً. في أول يوم الميلاد يحدث شيءٌ غير متوقع، البودينج المخصص لعيد الميلاد في شكله الشعبي يقع على الأرض، ويتحطم إلى قطع صغيرة. ماالعمل؟ العزيزة مس روس تأخذ البودينج الآخر وترسله إلى الطاولة.

ـ آه، ياإلهي، هتف كولين، ألا تريدون القول بأنه عندما أكل الجد البودينج، وقع في فمه الياقوت الأحمر الحقيقي؟

ـ هذا ماأريد قوله بالضبط ـ أكد بوارو ـ ويمكنكم أن تتخيلوا بماذا شعر السيد ديسموند لي ـ أورتلي عندما رأى الياقوت الأحمر في هذا البودينج. Eh bien ماذا بعد ذلك؟ الكل يشاهد الياقوت بدوره، وتمكنت من إسقاطه في جيبي. وأنا قمت بذلك متهاوناً، وكأنه صدفة. ولكن

لحد ما هناك شخص يراقبني، في الليل، وعندما كنت أستلقي لأنام، يبحث ويفتش في غرفتي. ويفتشني أنا، ولكنه لم يستطع أن يجد شيئاً. لماذا؟

قال مايكل بصوت متقطع: لأنكم أعطيتموه لبريجيت. هذا ماتقصدونه؟ ولذلك ـ أنا لاأفهم تماماً ـ أريد أن أقول ـ اسمعوا، ماذا حدث بالفعل؟

ضحك بوارو له وقال:

لنذهب إلى المكتبة، وننظر في النافذة. وكل ماأريد أن أريكم إياه يمكن أن يكون حلاً لهذا اللغز.

سار في الأمام، والآخرون تبعوه.

ـ انظروا مرة أخرى، قال بوارو ـ إلى مكان الجريمة.

أشار خلف النافذة. وصيحة التعجب صدرت بنفس الوقت من الجميع. فجسد بريجيت لم يكن موجوداً. ولم يبقَ أي أثر للتراجيديا التي حصلت، عدا حفرةواضحة على الثلج.

ـ ربما كان هذا كله حلماً؟سأل كولين بصوت ضعيف ـ أو نقل أحدهم الجسد؟

حرك بوارو رأسه، ولمعت في عينيه أنوار مرحة. وقال ضاحكاً:

هذه القصة تسمى "لغز الجسد المختفي".

ـ ياإلهي، صرخ مايكل ـ سيد بوارو ـ أنت.. اسمع.. فلقد ضللنا وقتاًطويلاً جميعنا. وأصبحت الأنوار في عيني بوارو أوضح:

ـ هذا حقيقة، ياأطفالي، أنا أيضاًلعبت معكم لعبة مسلية. الأمر ينحصر في أنني عرفت مؤامرتكم الصغيرة وقمت بمؤامرتي الصغيرة ضدكم. آه، الآنسة بريجيت، أرجو أن لايكون قد حصل لك شيء من الاستلقاء على الثلج ولن أغفر لنفسي أبداًإن أصبت بمرض الرئة.

وللمناسبة دخلت بريجيت إلى الغرفة، كانت ترتدي تنورة دافئة وكنزة من الصوف وكانت تضحك. وقال بوارو: لقد أرسلت لكم عصيراًدافئاًإلى غرفتكم، هل شربتموه؟

ـ رشفة واحدة تكفي ـ وبدأت بالضحك، كل شيء على مايرام ياسيد بوارو، هل قمت بلعب دوري بشكل جيد؟ ياإلهي، يدي مازالت تؤلمني من الشريط الذي أرغمتموني على حمله.

ـ لقد كنت رائعة ياصغيرتي ـ أكد لها بوارو ـ كنت رائعة حقاً. ولكن كما ترين الجميع يريد أن يعرف ماحصل. في الأمس دخلت إلى غرفة الآنسة بريجيت وقلت لها بأنني أعرف مؤامرتكم الصغيرة وسألتها هل تستطيع بأنْ تقوم بدور صغير من أجلي، وقامت بكل شيء بشكل ذكي، واستخدمت حذاء السيد لي أورتلي بالنسبة للآثار. وقالت سارا فجأة بصوت مبحوح:

ـ ومالمعنى من هذا كله ياسيد بوارو؟ لماذا ذهب ديسموند وراء الشرطة؟ وسوف يغضبون كثيراًعندما يعرفون بأن هذا كله كان تضليلاً.

وحرك بوارو رأسه. وقال:

ـ لكن أنا لم أشك لدقيقة واحدة بأن السيد لي أورتلي قد ذهب إلى

الشرطة، والسيد لي أورتلي لم يكن متورطاًأبداًفي جريمة القتل. فهو لم يتمالك نفسه أبداً، وفكر فقط في كيفية الحصول على حجر الياقوت الأحمر. عندما أخذه، ذهب إلى المنزل ولعب كوميديا الهاتف تلك وكأن الهاتف لم يكن يعمل، وبعد ذلك ركب السيارة وانطلق بحجة ضرورة استدعاء الشرطة. وأعتقد أنكم لن تروه في القريب العاجل. ولديه على ماأعرف إمكانيات خاصة كي يترك إنكلترا. فلديه طائرة خاصة أليس كذلك. ياآنسة؟ وأومأت سارا برأسها وأكدت قائلة:

ـ نعم، كنا ننوي...

وتوقف

ـ كان يريد أن تهربي معه، أليس كذلك؟ Eh bien، إنه أسلوب مريح جداًلنقل الحجر المسروق. إذا هربتم مع فتاة وأصبح هذا معروفاً، لن يشك أحد بكم في أنكم ستخرجون أيضاًجواهر ثمينة تاريخية. آه، نعم كان هذا يمكن أن يكون تمويهاًرائعاً.

وقالت سارا:

ـ أنا لاأصدق هذا، لاأصدق أي كلمة من هذا كله.

وهنا نصحها بوارو، مومئاًبرأسه إلى أحدهم خلف ظهره: عندئذ اسألوا أخته.

وظهرت عند العتبة شقراء في معطف فرو، وعيناها كالبرق والرعد، وكان واضحاًأنها ليست على مايرام. وصرخت:

ـ أخته؟ كيف ذلك؟ ـ هذا الخنزير ليس أخي، وتبين بأنه تدارك نفسه

وتركني وحدي هنا في هذه الحال؟ إنه هو الذي فكر في هذا كله. وأرغمني على فعل هذا، هذه نقود حقيقية، قال لي، ولم يلاحقوك أبداً كنت أستطيع دائماًتهديده بأن أقول إنّه هو الذي أهداني هذه الجوهرة الثمينة. كان يجب علينا أنا وديس أن نقتسم الغنيمة في باريس، والآن هرب هذا الخنزير أنا مستعدة لأقتله ـ واستدارت بعنف ـ كلما كان أسرع الهروب من هنا...

ربما يستطيع أحدكم أن يحضر سيارة أجرة من أجلي؟

وقال بوارو: السيارة تنتظر عند المدخل ياآنسة كي تنقلكم إلى المحطة.

ـ إنك تستطيع أن تفكر في كل شيء، صحيح؟

ـ تقريباً، هذا ماأكده بوارو بطيبة خاطر.

ولكنه لم يتملص تماماً، عندما رجع إلى البوفيه مصطحباً ميس لي. أورتلي إلى السيارة، كان كولين ينتظره. وكان وجهه الطفولي مقطباً.

ـ اسمع ياسيد بوارو؟ وماذا عن الياقوت الأحمر؟ ألا تريد القول بأنك سمحت له بالهروب مع الغنيمة؟

وتجهم وجه بوارو، ومسح شاربيه، وتبين بأنه ليس على مايرام.

ـ سأعيده، قالها بصوت ضعيف، هناك إمكانيات أخرى. أنا...

ـ هيهات أيضاً ـ صرخ مايكل ـ أتسمح لهذا التافه بأن يسرق الياقوت الأحمر.

ـ ولكنه سيسترسل في اللعب معنا! صرخت هي، لقد أصبت ياسيد بوارو؟

ـ لنلعب آخر حيلة إذا أردتم، ياآنسة، ألمسي جيبي اليسرى.

أدخلت بريجيت يدها إلى جيبه وسحبت من هناك الياقوت الأحمر الذي يلمع من جوانبه بكل حليته الرائعة. وسأل بوارو؟

ـ هل تفهمين الآن؟ ذلك الحجر الذي أمسكتِه كان مزيفاً. وأنا جلبته من لندن معي في حالة إذا بدا ممكناً تزييف الأصلي. واضح؟ نحن لانريد الفضيحة. والسيد ديسموند يحاول التخلص من الياقوت في باريس أو بلجيكا أو في أي مكان آخر حيث يتمتع بالاتصالات، وعندئذ سيتبين بأن الجوهرة غير حقيقية. وهل هناك أمر مضحك أكثر من هذا؟ وكل شيء سينتهي بنجاح على درجة ممتازة: نحن نتجنب الفضيحة، وأميري سيستلم جوهرة الياقوت الأحمر وسيعقد زواجاًفطناً، ونرجو بأن يكون سعيداً. وكل شيء سينتهي بشكل جيد. وهمست سارا: لكن ليس من أجلي. قالت ذلك بهدوء فلم يسمعها أحد سوى بوارو. واعترض قائلاً لها: أنت تخطئين في هذا ياآنسة سارا، لقد حصلت على خبرة، والخبرة مفيدة دائماً. وأتوقع لك السعادة في المستقبل. قالت سارا له: شكراًعلى الكلمات الطيبة.

واستدار كولين إلى بوارو وقال له مقطباًحاجبيه: اسمع ياسيد بوارو كيف عرفت عن المسرحية التي كنا سنلعبها لكم؟

ـ يجب علي أن أعرف كل شيء. هذه هي مهنتي، جاوبه إيركول بوارو فاتلاًشاربيه.

ـ نعم طبعاً ولكن لاأفهم على كل حال كيف استطعت أن تعرف. ربما أحدنا قال لك وقص عليك ماكنا نخططه:

ـ لا، لا.

ـ إذاً كيف، قل لي.

وشارك الجميع في الحديث.

ـ نعم، قل لنا، من فضلك.

ـ ليس مهماً، صدقوني ـ احتج بوارو ـ إذا حكيت لكم ماحصل، سيبدو لكم هذا غير ممتع. تماماًكما يفعل الساحر عندما يُفصح عن حيله. هذا دائماًيكون مضجراً.

ـ قل ياسيد بوارو، قل من فضلك.

ـ أتريدون فعلاًأن أفشي لكم آخر لغز؟

ـ نعم، من فضلك، من فضلك.

ـ آخ، لاأعتقد بأن هذا يجب أن أعمله. ستصابون بخيبة أمل.

ـ لكن من فضلك ياسيد بوارو، كيف عرفت هذا؟

ـ حسناً، قبل أمس، أترون، كنت أرتاح جالساًبالقرب من المكتبة. وغفوت هناك، وعندما استيقظت سمعت كيف تناقشون خططكم عند الباب تحت النافذة.

ـ وهذا كل شيء؟ قال كولين بشكل غير مرضٍ. هكذا ببساطة.

ـ أليس كذلك؟ قال بوارو ضاحكاً ـ أترون لقد خاب أملكم.

ـ حسناً، أشار مايكل، على كل حال إننا نعرف كل شيء الآن.

ـ أتعتقدون ذلك؟ تمتم بوارو، محدثاًنفسه ـ بالنسبة لي، فإنني

لأعرف كل شيء. وهذا أنا، الذي تكمن مهمته في معرفة كل شيء.

وخرج إلى الصالة مومئاًبرأسه، ولعلها المرة العشرون التي يسحب فيها بوارو من جيبه قطعة الورق الوسخة: "لاتأكلوا أي قطعة من بودينج عيد الميلاد. فاعل خير".

وتابع بوارو تحريك رأسه بإمعان. هو الذي استطاع أن يفسر كل شيء في العالم لم يستطع أن يفسر هذا. يالها من إهانة! لماذا كتبوا هذا؟ ومادام لم يفسر هذا فلن يجد دقيقة راحة أبداً. وأخرجه صوت غريب من هذا الاستغراق في التفكير. نظر إلى الأسفل بسرعة وكان على الأرض أحدهم راكعاً وممسكاًبفرشاة، وتطلع بعينين مدورتين مفتوحتين على الورقة التي بيد بوارو:

ـ آه ياسيدي ـ وقال ـ آه ياسيدي، أرجوك، ياسيدي.

ـ من أنت، ياصغيرتي ـ سألها بوارو بلطف.

ـ إيني بيتس، ياسيدي،في خدمتكم. أنا أكون هنا كي أساعد مس روس. صدقني ياسيدي، لم أرد أن أفعل شيئاً كهذا إلا إذا كنت مجبرة على ذلك. كانت لدي أهداف سليمة ياسيدي. كنت أتمنى لكم الخير.

وأشار بوارو إلى قصاصة الورق المتسخة:

ـ أنت التي كتبت هذا ياإيني؟

ـ لم يكن لدي أي شيء سيء تجاهكم ياسيدي، لاشيء في الواقع.

ـ آه، طبعاً. ياإيني، أنا أعرف، وتبسم لها. لكن قولي لي عن كل شيء. لماذا كتبت ذلك؟

ـ هذا كله بسبب اثنين ياسيدي، بسبب السيد لي ـ أورتلي وأخته. بالرغم من أنها ليست أخته أبداًبالطبع. ولم يصدق أحد منا ذلك. ولم تكن مريضة أبداً. كنا نفهم ذلك كله. اعتقدنا ـ وكلنا اعتقدنا ـ بأن هناك أموراً غريبة. أنا أقول لكم بصدق ياسيدي. لقد كنت في حمامها وأخذت البشاكير النظيفة وسمعت شيئاً ما. كان في غرفتها وكانا يتحدثان. وسمعت كل شيء بوضوح. "هذا التحري ـ قال هو ـ هذا بوارو، الذي ينوي المجيء إلى هنا. يجب أن نفعل شيئاً، يجب أن نزيحه عن دربنا بسرعة قدر الإمكان".

بعد ذلك خفض صوته وأضاف بصوت مزعج: "أين وضعت هذا؟ ـ وجاوبته "في البودينج". آه ياسيدي انفطر قلبي عندئذ. كان يبدو لي بأنها ستكف عن القتال. واعتقدت بأنهم سيضعون لكم السم في بودينج عيد الميلاد.ولم أعرف ماذا أفعل! ومس روس لن تسمع واحدة مثلي. عندئذ خطر في بالي أن أحذرك، وهكذا فعلت ووضعت هذه الورقة لكم على الوسادة حتى تجدوها عندما تريدون النوم.

توقفت إيني، لتلتقط أنفاسها. ونظر إليها بوارو نظرة جدية وطويلة.

ـ أظن، بأنك تشاهدين الكثير من الأفلام البوليسية ياإيني ـ وأخيراً، ربما هذا التلفزيون؟ ولكن الأهم. أنه لديك قلب طيب وأنت فتاة رائعة. عندما سأعود إلى لندن سأبعث لك بهدية.

ـ آه، شكراً لك ياسيدي. شاكرة لك كثيراً.

ـ أية هدية تريدين ياإيني؟

ـ هل من الممكن أن أسألك ياسيدي ماذا أريد؟ أية هدية ياسيدي؟
وجاوبها بوارو:
ـ نعم، في قدر المستطاع، بالطبع.
ـ آه ياسيدي هل تستطيع أن تشتري لي حقيبة لمواد التجميل؟حقيبة عصرية حقيقية، وتكون فاخرة كما لدى أخت السيد أورتلي، والتي بالواقع ليست أخته.
ـ حسناً، قال بوارو، أعتقد أن هذا يمكن تحقيقه، شيء رائع. تابع مستغرقاً في تفكيره، منذ أيام كنت في المتحف وشاهدت معروضات الجناح القديم وغيرها من المواد منذ آلاف السنين. وهكذا، شاهدت هناك حقيبة للتجميل، رائعة جداً، آه أيتها النساء!
ـ عفواً ياسيدي؟
ـ لاشيء، لاشيء. كنت أحدث نفسي، ستحصلين على حقيبتك ياصغيرتي.
ـ آه، شكراًلك ياسيدي. أنا شاكرة لك كثيراً.
ابتعدت إيني وهي في اندهاش. نظر بوارو في أثرها محركاًرأسه برضى تام.
ـ نعم، قال لنفسه، والآن حان وقت الرحيل، أنا لست ضرورياًلأحد هنا.
وفجأة أحاطت يدان ناعمتان رقبته.
ـ ألا تستطيعون أن تقفوا تحت نبات الدبق قليلاً؟ سألته بريجيت.
كان إيركول بوارو راضياً جداًعن نفسه، فقد قضى وقتاًرائعاًفي عيد الميلاد في كينغ ليسي.

عقد الراقصة الثمين

خرجت زوجة قس الأبرشية من زاوية بيتها المجاور للكنيسة محتضنة الكرسانتيم [*] (xopu arten)» وقد التصقت قطع الطين السميكة على باطن قدم حذائها الفظ، وعلى أنفها كانت بقع صغيرة لكن لم تلاحظها.

كان عليها أن تتعامل مع تلك الأبواب الصدئة والمتخلعة تقريباً، ولفحة الهواء التي هبت أزاحت قبعتها الرثة والمصنوعة من اللباد وجعلتها أكثر جرأة من قبل.

وقالت بانتش: آه من هذه الهوة.

في سورة التفاؤل الناتج عن ولادة طفلة صغيرة والتي أسماها أهلها بشكل شاعري ديانا، لكن منذ طفولتها لم يدعُها أحد بشكل آخر غير بانتش، متمسكة بالكرسانتيم اجتازت باب الكنيسة واقتربت من أبواب الهيكل.

كان هواء تشرين الثاني رطباًوحاراً، وابتعدت الغيوم في السماء

(*) تسمى بزهرة الذهب أو الزهرة الذهبية.

تاركة هنا وهناك أشعة زرقاء، وخيم الظلام على جو الكنيسة البارد، والتدفئة ممكنة أثناء تواجد الناس فقط.

- بررررر - قالت بانتش بوضوح- عليَّ أن أسرع إذا لم أكن أريد أن أتجمد حتى الموت هنا.

وجمعت كل ماهو ضروري بسرعة اكتسبتها من خبرتها العملية فأخذت الأواني وإبريق ماء وسنادة للزهور "كم كنت أود لو كان عندنا زهور السوسن" فكرت بانتش في ذلك - كم أصبحت مضجرة هذه الكرسانتيم الذابلة بالنسبة لي.

وضعت الأزهار في مكانها بشكل رشيق ومرتب، وأنـهت زخرفة الكنيسة بوقت قصير.

ولم يكن فيها أية إشارة إلى الابتكار والأصالة أو المهارة لأنه في نفس بانتش لم يكن هناك ماهو مبتكر أو حاذق، إلا أن الأزهار أعطت الكنيسة منظراًمريحاًوبشوشاً. وصعدت بانتش إلى الأعلى حاملة الأواني بحذر، وتوجهت إلى المحراب، ومالت الشمس في هذه اللحظة واخترقت أشعتها في ألوان حمراء وزرقاء مزخرفة النافذة الشرقية هدية أحد أتباع الأبرشية في عهد الملكة فيكتوريا.

المنظر كان غير متوقع وكان ساطعاً بشكل مدهش. وخمنت بانتش وقالت: "إنها كالأحجار الثمينة"، وتوقفت فجأة عندما نظرت أمامها مباشرة، فعلى الدرجات المؤدية إلى المحراب كانت هناك شخصية مستلقية قاتمة تتلوى من الألم. وضعت بانتش الأزهار خوفاًمن إتلافها واقتربت أكثر ومالت عليها.

لقد كان ذلك شخصاًمنبطحاً، ونزلت بانتش على ركبتيها إلى جانبه ورفعت رأسه إلى الأعلى بهدوء. وتلمست أصابعها نبضه، وكان ضعيفاًوغير منتظم، ووجهه كان شاحباًمما لايدع مجالاًللشك بأن ذلك الشخص على وشك الموت.

كان في الخامسة والأربعين تقريباً. وبذلته رثة قاتمة، وعندما أنزلت يده عديمة الإرادة التي رفعتها لتتلمس نبضه، شاهدت يده الأخرى وكان يضمها إلى صدره على شكل قبضة، ورأت بانتش أنه يمسك قطعة من القطن أو منديلاً يضمه بقوة إلى صدره. ومن حوله كان كل شيء مغطى ببقع داكنة: وخمنت بانتش بأن هذا دم جاف. وجلست القرفصاء وقطبت حاجبيها.

كانت عينا الرجل حتى هذا الوقت مغلقتين، وفجأة فتحهما وتوقفتا على وجه بانتش، ولم تكن نظرته شاردة أو بدون وعي بل بدت حية وفطنة وتحركت شفتاه، وسمعت بانتش كلمة واحدة فقط وهي تنحني إلى الأمام.

ـ الملجـأ.

وبدا لها أن بسمة ضعيفة قد أنارت وجه ذلك الشخص عندما تفوه بهذه الكلمة. لم يكن أدنى شك في أنه هو بالضبط الذي قالها لأنه كررها مرة أخرى.

ـ الملجأ... المقدس؟

بعد ذلك تنفّس بهدوء وأغلق عينيه، وتلمست بانتش نبضه من جديد، كان مازال يدق لكنه أصبح أكثر ضعفاًومتقطعاً. وقالت بحزم:

ـ لاتتحركوا ولاتحاولوا أن تنهضوا، سأجلب المساعدة ، فتح الشخص عينيه من جديد ، وكان اهتمامه مشدوداً إلى أشعة.قوس قزح التي تخترق النافذة الشرقية . وتمتم بعض الشيء ، ولكن بانتش لم تفهم ماقاله. وذكرها هذا باسم زوجها ، هكذا فكرت بانتش بدهشة.

ـ جوليان؟ سألته من جديد، هل أتيت إلى هنا لتلتقي بجوليان؟

لم يكن هناك جواب، والرجل كان مستلقياًبعينين مغلقتين، وتنفسه كان بطيئاً وبصعوبة يخرج من صدره.

استدارت بانتش وخرجت بسرعة من الكنيسة، ملقية نظرها إلى الساعة، وأومأت برأسها راضية. مازال الوقت مبكراًوالدكتور غريفيتس يمكن أن لايكون قد خرج بعد، حيث يقع بيته على بعد خطوتين من الكنيسة.

ولم تقرع الجرس ولم تطرق الباب بل دخلت من خلال صالة الاستقبال ومن ثم مباشرة إلى المكتب.

ـ عليكم أن تأتوا معي بسرعة ياسيد غريفيتس ـ فهناك شخص يموت في الكنيسة.

بعد مضي بضع دقائق، وقف الدكتور بعد أن عاينه بصورة سطحية.

ـ هل يمكن نقله إلى منزلكم؟ سأل الدكتور بانتش ـ ستكون معاينته مريحة أكثر هناك، بالرغم والحق يقال بأن الأمل ضعيف على كل الأحوال.

وقالت بانتش: طبعاً، سأذهب أولاً كي أحضر كل شيء وسأرسل وراء هاربر وجونس فهما يستطيعان مساعدتنا في حمله.

ـ شكراً، وسأتصل من عندكم كي يرسلوا لنا سيارة الإسعاف، لكن أخشى بأنه إلى أن تصل....

لم يكمل كلامه. وسألته بانتش:

ـ نزيف دموي؟

أومأ الدكتور برأسه. واهتم قائلاً:

ـ وكيف ظهر هنا؟ فأجابت بانتش بعد تفكير:

ـ على الأرجح أنه قد قضى الليل كله هنا. وهاربر يفتح الكنيسة في الصباح عندما يذهب إلى عمله، وهو لايدخل إلى هناك عادة.

بعد خمس دقائق دخل الدكتور غريفيتس بعد أن وضع سماعة الهاتف وعاد إلى الغرفة حيث كان الجريح مستلقياًعلى المقعد الذي تم تحضيره بسرعة ووجد هناك بانتش التي حملت دلو ماء لتنظف الغرفة بعد المعاينة الطبية. وقال غريفيتس:

ـ كل شيء على مايرام، لقد استدعيت سيارة الإسعاف وأخبرت البوليس.

ووقف مقطباً حاجبيه ونظر إلى الميت الذي كان يستلقي وعيناه مغلقتان ويده اليسرى تفتح وتغلق بتشنج. قال غريفيتس:

ـ لقد أطلقوا عليه، ومن مسافة قريبة جداً ـ لقد جعد منديله وأغلق الجرح به كي يوقف النزيف. وسألته بانتش:

ـ وهل كان يستطيع أن يذهب بعيداً بعد هذا؟

ـ آه، نعم، هذا ممكن جداً. هناك حالات معروفة عندما ينهض الأشخاص المصابون بجروح مميتة ويمشون في الشارع وكأنه لم يحصل لهم شيء، وبعد خمس أو ست دقائق يقعون فجأة. آه لا، وهذا يمكن حدوثه على بعد مسافة قصيرة أيضاً. وطبعاًهذا لايستبعد بأنه هو قد أطلق الرصاص على نفسه، ورمى المسدس وبعدها وصل إلى الكنيسة ماشياً. لكنني لاأفهم لماذا توجه إلى هناك وليس إلى منزله. قالت بانتش:

ـ بإمكاني أن أرد على هذا السؤال. لقد فسر سلوكه هو بنفسه عندما قال: "الملجأ المقدس".

نظر الدكتور إليها بتعجب:

ـ الملجأ المقدس؟ وقالت بانتش وقد سمعت خطوات زوجها في الصالة:

ـ هذا هو جوليان. جوليان، تعال إلى هنا.

دخل جوليان هارمون إلى الغرفة، وبدا أنه أكبر من سنوات عمره جراء طريقته المترددة في سلوكه الخاصة بالعديد من المولعين بالكتب. وصرخ بدهشة عندما شاهد أدوات الجراحة والشخصية الممدة على المقعد:

ـ ياإلهـــي!

وشرحت له بانتش بشكل مختصر:

ـ لقد وجدته يموت في الكنيسة، لقد أطلقوا الرصاص عليه، أنت تعرفه ياجوليان؟ يبدو لي بأنه قد لفظ اسمك.

واقترب القس من المقعد ونظر باهتمام إلى الشخص الذي يحتضر.

ـ المسكين ـ قال ذلك وهو يومئ برأسه ـ لا، لاأعرفه، وأنا واثق تقريباًبأنني لم أره من قبل أبداً.

في هذه اللحظة فتح الشخص المحتضر عينيه من جديد، ونظر إلى الطبيب وإلى جوليان هارمون ومن ثم إلى زوجته وأوقف نظرته عليها. تقدم غريفيتس خطوة إلى الأمام. وبدأ حديثه بإلحاح: ألا تستطيع أن تقول لنا...

لكن الشخص المحتضر قال بصوت ضعيف دون أن يبعد نظره عن بانتش:

ـ أرجوكم، أرجوكم..

بعد ذلك سرت القشعريرة في جسده ومات...

قلب الرقيب "هايس" صفحة المحضر وقال:

ـ هذا كل شيء تستطيعين قوله يامس هارمون؟

ـ نعم، كل شيء، قالت له بانتش ـ وهذه هي أشياؤه الخاصة من معطفه.

وكان على الطاولة بالقرب من كوع الرقيب هايس محفظة وساعة قديمة كتب عليها بالأحرف الأولى "و.س" وبطاقة عودة إلى لندن.

ـ هل عرفتم من هو هذا الشخص؟ سألت بانتش.

ـ السيد والسيدة إيكلس اتصلا بقسم الشرطة. وكان المتوفى أخاه علي مايدو. وكنيته هي سيندبورن. وحسب كلماتها فإن صحته وأعصابه ليست على مايرام منذ زمن طويل. وأصبح وضعه سيئاً في الفترة الأخيرة. خرج من المنزل قبل أمس ولم يرجع وأخذ معه مسدساً. وسألته بانتش:

ـ هل أتى إلى هنا وأطلق على نفسه الرصاص؟ لكن لماذا؟

ـ ألا ترون بأنه كان منقبض النفس...

فقاطعته بانتش:

ـ لم أقصد هذا. أنا سألت لماذا هنا بالتحديد.

وكان واضحاً أن الرقيب هايس لم يكن في مقدوره الإجابة عن هذا السؤال.

وقال بشكل مراوغ:

ـ لقد وصل إلى هنا في باص الساعة الخامسة.

ومن جديد قالت بانتش:

ـ نعم، لكن لماذا؟

واعترف الرقيب:

ـ لاأعرف ياسيدة هارمون، لاأجد لهذا الأمر أي تفسير، عندما يكون التوازن النفسي مفقوداً...

وأكملت بانتش عنه:

ـ فإن الناس قادرون على فعل هذا في أول مكان يصادفونه. وعلى كل أنا لاأرى ضرورة لهذه التفاصيل من أجل هذا الأمر. فهو لايعرف أحداً هنا أليس كذلك؟

ـ على كل حال لم نستطع أن نحدد حتى الآن إن كان له معارف هنا أم لا، قال الرقيب ذلك ساعلاً سعلة قوية، يمكن للسيد والسيدة إيكلس أن يأتيا إلى هنا ويمرا عليكم، إذا لم تعارضوا طبعاً.

ـ بالطبع، لانرفض ـ قالت بانتش ـ هذا طبيعي تماماً. أردت أن أعرف الكثير، فأنا لن أخبر أحداًأبداً.

ـ حسناً أنا ذاهب، قال الرقيب.

وختمت بانتش حديثها معه فقالت:

ـ هناك شيء واحد يسعدني، وهو أني أشكر الله كثيراً على أن هذا لم يكن جريمة قتل.

واقتربت سيارة من أبواب منزل القديس، فقال الرقيب عندما لاحظها:

ـ يبدو أن السيد والسيدة إيكلس قد وصلا للتحدث معكم ياسيدتي.

وجمعت السيدة بانتش كل قواها في انتظار هذه التجربة كما توقعت.

وهدأت من روعها:

ـ ولكن إذا كان ضرورياً سوف أستدعي جوليان للمساعدة، وليس هناك أفضل من القديس من يعزي الأشخاص الذين تعرضوا لهذه الخسارة.

كان من الصعب على بانتش أن تتخيل هيئة السيدة والسيد إيكلس، ولكن عندما صافحتهما لم تستطع أن تخفي الإحساس بالدهشة. تميز السيد إيكلس بصفات مؤثرة ووجه كان أحمر. وفي الحالات العادية كان على مايبدو سعيداًومرحاً. أما فيما يخص السيدة إيكلس فقد كان هناك شيء فظ ومبتذل في هيئتها، وفمها كان صغيراًوعدائياًوشفتاها مزمومتين وصوتها دقيقاًوحاداً. وقالت:

ـ يمكنكم أن تتخيلوا ياسيدة هارمون كم كانت هذه ضربة مؤلمة حقاً.

فأجابتها بانتش:

ـ آه نعم، أنا أفهم ـ اجلسي من فضلك، أستطيع أن أقترح عليكم؟ وتقديم الشاي في هذا الوقت، على مايبدو، مبكر »

قام السيد إيكلس بحركة سلبية بيده النافرة. وقال:

ـ لا، لا، نشكرك، ليست هناك حاجة أنتم طيبون جداً، أردنا فقط.. كيف أقول لكم. أن تسألك ماذا قال المسكين ويليام، أنت تفهمين. وفسرت السيدة إيكلس.

ـ لقد سافر لمدة طويلة، وأخشى بأنه كان لديه بعض المشاكل، ومنذ أن عاد إلى المنزل كان يبدو عليه الهدوء والتوتر، وقال إنه من المستحيل العيش في هذا العالم، وليس هناكماينتظره في المستقبل، بيل المسكين، وكان يصاب دائماً بالكآبة ببساطة.

نظرت بانتش إليهما بصمت. وتابعت السيدة إيكلس كلامها:

ـ لقد حمل مسدس زوجي، ولم نكن نشك في هذا. بعد ذلك تبين أنه وصل إلى هنا بوساطة الحافلة، لم يرد إذن أن يقوم بفعلته في منزلنا. وبرأيي هذا يعتبر طيبة قلب من جانبه.

وتنفس السيد إيكلس الصعداء وقال:

ـ شاب مسكين، ليس من المفروض أن نحاكم أحداًأبداً.

وسأل السيد إيكلس بعد استراحة قصيرة.

ـ هل ترك ورقة ما؟ ورقة "غفران" أو شيئاً من هذا القبيل.

وكانت عيناه اللامعتان الشبيهتان بعيني الخنزير تلاحقان بانتش، وكذلك السيدة إيكلس مالت إلى الأمام منتظرة الجواب بفارغ الصبر:

قالت السيدة بانتش:

ـ لا، كان يحتضر عندما وصل إلى الكنيسة، في الملجأ المقدس كما قال هو.

وسألت السيدة إيكلس من جديد باندهاش:

ـ في الملجأ المقدس؟ أنا لاأفهم تماماً...

وقاطعها السيد إيكلس دون صبر:

ـ إلى المعبد، ياعزيزتي إلى المعبد، هذا ماقصدته السيدة. فالانتحار يعتبر عاراً. وعلى مايبدو كان يريد الإعتذار عن خطيئته.

وأضافت بانتش:

ـ قبل الموت فوراً حاول أن يقول شيئاً، وقد قال فقط: "أرجوكم.." ولم يلحق أن يقول شيئاً بعدها.

ورفعت السيدة إيكلس منديلها كي تتنشق أنفها. وأطلقت أنيناًقائلة:

ـ ياإلهي، كم هذا صعب.

ـ تماسكي، تماسكي ـ وقال زوجها لها ـ لاتحزني هكذا. لن تفعلي شيئاً.المسكين بيلي. وعلى كل حال فقد ارتاح الآن. نحن نشكركم كثيراًياسيدة هارمون. وأرجو أن لانكون قد صرفناكم عن العمل. فنحن نفهم بأن لدى زوجة القديس واجبات كثيرة.

ومدا لها يديهما للمصافحة، بعد ذلك استدار السيد إيكلس فجأة وسألها:

ـ آه، هناك شيء آخر، معطفه على الأرجح بقي عندكم؟

تجهّمت بانتش وقالت:

ـ معطفه؟

وأوضحت لها السيدة إيكلس:

ـ أتعرفين، لقد أردنا أن نأخذ كل أغراضه للذكرى. فقالت بانتش:

ـ كانت هناك ساعة في جيبه ومحفظة وبطاقة عودة بالقطار وقد أعطيت كل شيء للرقيب.

وقال السيد إيكلس:

ـ إذن كل شيء على مايرام، وأعتقد بأنه سيعطينا تلك الأغراض، فأوراقه يجب أن تكون في المحفظة. فقالت بانتش:

ـ كان في المحفظة ورقة بقيمة جنيه واحد فقط.

ـ وألم يكن هناك رسائل؟ أو شيء من هذا؟

وأومأت بانتش برأسها.

ـ حسناً إذن، شكراًمرة أخرى ياسيدة هارمون. وأما المعطف الذي كان عليه فهو على الأرجح عند الرقيب أيضاً.

وقطبت بانتش حاجبيها ويبدو أنها تحاول أن تتذكر فقالت:

ـ لا، يبدو أنه... دعوني أتذكر. لقد ساعدت الطبيب في نزع المعطف عنه كي تكون معاينته أفضل ـ وتفحصت الغرفة بنظرة شاردة ـ ربما أكون قد حملته إلى الأعلى مع حوض الماء والبشكير.

ـ إذا كنت لاتمانعين ياسيدة هارمون، نرغب في أن نأخذ معطفه، آخر شيء حمله. وزوجتي عاطفية جداً، وهذا ضروري لها.

فقالت بانتش:

ـ بالطبع، إذا أردتم، سآخذه أولاً إلى المصبغة لغسلهِ.. فهو..هو مليء بالبقع.

ـ آه، لا،لا، لاداعي لذلك.

واستغرقت بانتش في التفكير من جديد:

ـ أين وضعته؟ اعذروني، سأذهب لدقيقة.

وصعدت إلى الأعلى،ومرت عدة دقائق ثم عادت لاهثة:

ـ اعذروني من فضلكم، ربما تكون خادمتي قد وضعته مع الأشياء الأخرى التي يجب غسلها، وقد بحثت طويلاً. هذا هو، سأضعه في ورقة كبيرة.

ودون أن تهتم لمعارضتهما فقد حزمت المعطف. ومن ثم ودع السيد والسيدة إيكلس بانتش مبالغين في ثنائها وأخيراًذهبا.

عادت بانتش إلى الوراء ودخلت إلى مكتب زوجها جوليان هارمون وهو بدوره نظر إليها وكان وجهه يعبر عن الراحة.وقد كتب موعظته وخشي من أن الاهتمام بالعلاقات السياسية بين الفرس واليهود في عهد سيادة "كير" أخذه بعيد جداً.

ـ نعم ياعزيزتي؟ قال ذلك بصوت كله أمل.

ـ جوليان، مارأيك، لماذا قال ذلك الشخص "الملجأ المقدس"؟

ووضع جوليان هارمون موعظته إلى جانبه وقال:

ـ إذاً، كان في المعابد اليونانية والرومانية مكانٌ يدعى"cella" ويوضع فيه تمثال لإله ما.وكان الناس يأتون إلى هناك: ويأملون بأن ينقذوا أنفسهم من الاضطهاد. والكلمة اللاتينية ـ Ara ـ المذبح ـ تعني أيضاًالدفاع والحماية. في عام ٣٩٩ ق.م ـ تابع هارمون كلامه متذوقاًمايقوله ـ حق اللجوء كان معترفاً به بصورة نهائية ومحددة في الكنائس المسيحية، وفي انكلترا نجد أول ذكر لحق اللجوء في مجموعة القوانين التي أصدرها إيتلبيرت عام ٦٠٠م...

وتابع شرحه لبعض الوقت، وكما كان ذلك من قبل، فقد أدى ذلك إلى ردة فعل زوجته على أقواله العلمية.

وانحنت وقبلته بين عينيه وقالت له:

- لقد أتى السيد والسيدة إيكلس.

- إيكلس؟ أنا لاأتذكر.

- أنت لاتعرفهما،فهما أخت الشخص الذي وجدته في الكنيسة وزوجها.

- كان يجب أن تستدعيني ياحبيبتي.

- لم يكن لذلك ضرورة، فلم يكونا في حاجة إلى عزاء. اسمع ماأريد أن أسألك إياه ياجوليان. إذا تركت لك الطعام غداً في الفرن هل تستطيع أن تتدبر أمورك بدوني؟ أفكر في الذهاب إلى لندن للشراء.

- للشراء؟ ماذا تعنين؟

- أترى ياعزيزي، في محل بيروز وبورتمان سيتم بيع البياضات، الشراشف والبشاكير والأغطية، وتبادر إلى ذهني ماذا سنفعل بهذه البشاكير فإنها اهترأت تماماً. عدا عن ذلك - أضافت بانتش مفكرة - أريد أن أرى العمة جين.

السيدة جين ماربل الرائعة والكبيرة والتي تحدثت عنها بانتش كانت تتمتع في الوقت الحالي بروائع حياة العاصمة في شقة حفيدها في لندن لمدة أسبوعين.

وأشارت جين:

ـ كم كان ذلك رائعاًمن قبل ريموند العزيز، فهو سيسافر مع جوان إلى أميركا لمدة أسبوعين، وألحا علي كي أبقى في هذا الوقت عندهما، وأما الآن ياعزيزتي بانتش، فقولي لي ماذا يقلقك.

كانت بانتش ابنة العماد المدللة للسيدة ماربل، وأخذت تتطلع إليها وتتفحصها باندهاش، وأما بانتش فقد أرجعت قبعتها إلى الوراء بدون اكتراث وبدأت الحديث عن أحداث الأمس. واستعرضتها بانتش باختصار وبدقة واضحة، وعندما أنهت حديثها أومأت السيدة ماربل برأسها وقالت:

ـ مفهوم، نعم، كل شيء مفهوم، وقالت بانتش:
ـ لذلك أردت أن أراك، المشكلة في أنني لست ذكية لهذا الحد...
ـ أؤكد لك ياعزيزتي.
ـ لا، لا، على كل الأحوال لست ذكية كجوليان. ووافقتها السيدة ماربل قائلة:

ـ جوليان، طبعاً، يمتلك ذهناًمتقداً.

ـ تماماً. جوليان ذو ذهن متقد لكن من جهة أخرى أتمتع بتفكير سليم.

ـ نعم يابانتش، لديك تفكير سليم بالفعل، وأنت ذكية جداً.

ـ أترين، أنا لاأعرف بالفعل، كيف كان علي أن أتصرف. هل أستشير جوليان؟ لكنه يتمسك بمبادئ أخلاقية صارمة...

ويبدو أن السيدة ماربل قد فهمت تماماًمعنى هذه الكلمات، لذلك أكدت قائلة:

ـأعرف ماتقصدينه ياعزيزتي.نحن، النساء بشكل عام لدينا شيء آخر نتمسك به،لقد قلت له ماحصل لكنني أريد أن أعرف أولاً وبدقة تامة مارأيك بهذا.

قالت بانتش: لقد شعرت طولَ الوقت بأنهما يكذبان علي، الرجل الذي اختبأ في المعبد كان يعرف، كما كان جوليان أيضاً يعرف، عن حق اللجوء في الكنيسة. وهو بلا شك رجل متعلم وواسع الاطلاع. فإذا كان هو قد أطلق على نفسه الرصاص، فإنه لم يكن يستطيع أن يصل إلى الكنيسة ويتحدث عن الملجأ. فأنتم تكونون بأمان في الكنيسة والذي يطاردكم يكون ضعيفاًهناك. كان هناك وقت حيث لايستطيع القانون أن يفعل أي شيء في هذه الحالة.

ونظرت إلى السيدة ماربل نظرة تساؤل، وتلك أومأت برأسها وتابعت بانتش حديثها:

- لقد بدا لي أن السيد والسيدة إيكلس لايشبهانه تماماً، وهما جاهلان وفظان، وهناك شيء آخر، على الغطاء الخلفي لساعة الشخص الذي مات هناك حرفان "وس". ولكن في داخلها وقد فتحتها - هناك كلمات صغيرة جداً:"ويلتر من أبوك" والتاريخ.

ويلتر. وأما السيد والسيدة إيكلس فقد تحدثا كل الوقت عنه وكأنه ويليام أو بيلي.

وأرادت السيدة ماربل أن تضيف شيئاًما ولكن بانتش أسرعت في إنهاء حديثها:

- نعم، أنا أعرف تماماًبأنه أحياناً لايدعون الأشخاص بأسمائهم التي

سموهم بها أثناء تعميدهم. ويكون أحياناًأن الطفل يدعونه "البدين" أو "الأشقر" أو أي شيء آخر ولكن هذا لقب فقط. لكن أخته لن تدعوه بيلي إذا كان اسمه الحقيقي ويلتر.

- أتريدين القول إنها ليست أخته؟

- أنا واثقة في هذا، إنهما كريهان، لقد أتيا ليأخذا أغراضه وليعرفا إن قال أي شيء قبل موته. وعندما قلت لهما لا، شعرا بالراحة. وأعتقد بأن السيد إيكلس قد أطلق عليه الرصاص.

وسألت السيدة ماربل:

- جريمة قتل؟

- نعم، جريمة قتل، لذلك أنا أتيت إليكم ياعزيزتي.

يمكن أن تبدو كلمات بانتش أسطورية بالنسبة للسامع الجاهل، لكن شهرة السيدة ماربل في الأوساط الرسمية في مجال اكتشاف الجرائم كبيرة جداً.

وأضافت بانتش:

- لقد قال لي: "أرجوكم" قبل أن يموت. وأرادني أن أفعل شيئاًما له،لكنني لم أكن أتصور أبداًماالذي أراد من قوله هذا، لقد كان هذا مرعباًحقاً.

واستغرقت السيدة ماربل في التفكير بضع دقائق، بعد ذلك طرحت على بانتش سؤالاأقلقها:

- لماذا وصلَ إلى هناك بشكل عام؟

ـ أتريدون القول إنه لو كان بحاجة إلى ملجأ فإن أي كنيسة يمكن أن تلعب الدور ذاته. ولأي شيء يمكن للإنسان أن يأتي إلى هذا المكان الموحش كمكاننا.

وقالت السيدة ماربل:

ـ هذا يعني أنه كان لديه هدف ما. كان يجب أن يلتقي بأحد ما. إن تشيبينغ كليغهورنمكان صغيربانتش. ألم يخطر في بالك أبداًمن سيكون بحاجة إليه؟

وقالت بانتش:

ـ الحق يقال، أي واحد.

ـ ألم يُسمِّ أي اسم؟

ـ لقد قال مايشبه جوليان. لكن ربما قد تهيأ لي بأني سمعت ذلك. ويمكن اعتبار تلك الكلمة جوليا. وفي تشيبنغ كليغهورن ليس هناك اسم جوليا كما أعرف.

وتجهمت بانتش محاولة إرجاع شريط ذاكرتها. الرجل مستلقٍ على الدرجات التي تؤدي إلى المعبد، وشعاع من الضوء يأتي من النافذة والزجاج الكحلي والأحمر الذي يلمع كالأحجار الثمينة.

ـ الجواهر(*) كررت بتفكير السيدة ماربل.ثم تابعت بانتش:

ـ والآن عن الأهم، عن السبب الذي دعاني إلى المجيء إليكم اليوم. إيكلس ألح كثيراًليأخذ معطفه، وقد نزعناه عنه أنا والطبيب قبل موته.

(*) jewel باللغة الإنكليزية تعني الجواهر ـ وتقال باسم جوليان.

لقد كان معطفاً قديماً رثاً، وليس له أي قيمة. لقد تكلما عن شيء ما يشبه العواطف لكن كلامهما كان ثرثرة فقط.

وذهبت مع ذلك إلى الأعلى كي أجلب المعطف، وعندما كنت أصعد على السلم تذكرت أن الشخص قد جذب المعطف وأراد أن يبحث عن شيء فيه،وعندما تفحصت المعطف رأيت أن البطانة في محل واحد تم خياطتها بوساطة خيوط مغايرة.فقمت بفتقها قليلاًووجدت في الداخل ورقة صغيرة، بعد ذلك قمت بخياطتها من جديد بوساطة خيوط مناسبة اللون. كنت حذرة جداًولاأعتقد بأن أولئك الأشخاص استطاعوا أن يشكوا في شيء ما. نعم لاأعتقد هذا، لكنني لست متأكدة تماماً. وهكذا نزلت من جديد إلى الأسفل، وأعطيتهما المعطف واعتذرت عن التأخر.

وسألتها السيدة ماربل:

ـ والورقــة؟

ـ لم أعرضها على جوليان لأنه كان سيحاول أن يقنعني في أن أعطيها إياهما. وفكرت أنه من الأفضل أن أجلبها لكم.

وقالت السيدة ماربل:

ـ ورقة من مستودع حفظ الأمتعة في محطة بادينغتون.

وقالت بانتش:

ـ لقد كانت في جيبه بطاقة العودة إلى بادينغتون.

والتقت نظرات السيدتين:

ـ يجب أن نتحرك، قالت السيدة ماربل بحزم ـ لكن علينا أن نتوخى الحذر. ألم تلاحظي يابانتش بأن هناك من يلاحقك عندما وصلت إلى لندن اليوم.

قالت بانتش صارخة:

ـ يلاحقني؟ ألا تعتقدين أن...

ـ أعتقد بأن هذا ممكن،وعندما يكون هناك إمكانية ما إذاً يجب أن نتخذ الاحتياطات. وقالت السيدة ماربل بسرعة ـ لقد وصلت إلى هنا ياعزيزتي بهدف شراء البياضات، لذلك كي نكون ملاحقين يجب أن نذهب للشراء. ولكن قبل أن نتوجه إلى هناك يجب أن نقوم بتحضير شيء ما. أعتقد أنه في الوقت القريب لن أحتاج إلى معطفي القديم المصنوع من فرو القندس.

وبعد ساعة ونصف تقريباً، كلا السيدتين كانتا تعبتين ومهتاجتين، وقد حملتا علباً ضخمة ودخلتا إلى مطعم صغير يدعى "غصن شجرة التفاح"، وكي تسترجعا قوتهما طلبتا بوفتيك وبودينج مع تفاح مع القشطة.

ـ إن هذه البشاكير تختلف عما كانت عليه قبل الحرب ـ صاحت بذلك السيدة ماربل وكانت تلهث من التعب ـ بالإضافة إلى أنه عليها علامة "د". كم هو جيد أن زوجة ريموند يدعونها جوان. سأضعها جانباً، وإذا انتقلت إلى عالم أفضل قبل توقعي فإنني سأتركها لها.

ـ وأنا في الواقع بحاجة إلى بشاكير مطبخ ـ قالت بانتش ـ فهي رخيصة حقاًبالرغم من أنها أغلى ثمناًمن التي أخذتها مني الشقراء.

في هذه اللحظة دخلت إلى مطعم "غصن شجرة التفاح" امرأة شابة ترتدي لباساً فاخراً. ووجهها كان وردياً، نظرت إلى القاعة باهتمام وأسرعت إلى طاولتها ووضعت ظرفاً قرب السيدة ماربل. وقالت:

ـ خذي ياسيدتي.

ـ آه، أشكرك ياغلاديس. شاكرة لك كثيراً. كم هذا رائع.

وقالت غلاديس:

ـ أنا سعيدة بخدمتك ياسيدتي. إن هنري يكرر كل يوم: إن كل ماتعرفينه يعود إلى السيدة ماربل. وأنا سعيدة دائماً، دائماًفي أن أكون مفيدة لكم ياسيدتي. وقالت السيدة ماربل عندما ذهبت غلاديس: فتاة رائعة حقاً، لطيفة وخدومة.

نظرت إلى الظرف وبعدها أعطته إلى بانتش:

ـ يجب أن تكوني حذرة جداًيابانتش، قولي لي بالمناسبة، هل مازال يعمل في ميلشستر ذلك المفتش الشاب الوسيم!

فأجابت بانتش:

ـ لاأعرف، ربما.

ـ إذا لم يعد يعمل هناك، أستطيع أن أتصل برئيس الشرطة وأرجو أن يتذكرني.

ـ طبعاًيتذكركم، ليس هناك شخص يمكنه أن ينساك، وقامت.

عندما وصلت بانتش إلى محطة بادينغتون، دخلت إلى قسم

الشحن وأبرزت ورقة مستودع حفظ الأمتعة. بعد دقيقة أعطوها حقيبة قديمة رثة جداً، وتوجهت ومعها الحقيبة إلى الرصيف.

لم تكن هناك أية مشاكل في طريق العودة. وعندما اقترب القطار من تشيبينغ كليغهورن نهضت بانتش وأخذت الحقيبة وما إن همت بالخروج من العربة حتى قفز نحوها شخص وأخذ الحقيبة من يديها وهرب.

- أوقفوه، أوقفوه - صرخت بانتش - لقد سرق حقيبتي.

المراقب المسن الهادئ قال له: أنت، اسمع ماذا تفعل؟ وضربه الذي خطف الحقيبة في صدره وأزاحه جانباً. وركض السارق في الشارع وأشار إلى السيارة التي كانت تنتظره. فرمى فيها الحقيبة وأراد هو نفسه أن يدخل إليها، لكن في هذا الوقت كانت يد ثقيلة تمسكه من كتفه وقال رئيس الشرطة له:

- ماذا يحدث هنا؟

واقتربت بانتش لاهثة. وقالت:

- لقد خطف حقيبتي.

فاعترض الرجل قائلاً:

- هراء، ليس عندي أي فكرة عما تقوله هذه السيدة. هذه حقيبتي، ولقد أخذتها منذ قليل من القطار.

وقرر رئيس الشرطة قائلاً:

- ماذا إذن، يجب أن نتأكد.

ونظر إلى بانتش نظرة ثابتة. ولم يكن أحد يشك في أنه ناقش هذا الأمر مع السيدة هارمون طويلاً.

ـ أنت تؤكدين ياسيدتي أن هذه حقيبتك؟ سألها هو.

فأكدت بانتش: نعم، دون أدنى شك.

ـ وأنت ياسيدي:

ـ وأنا أقول إنها حقيبتي.

كان الرجل طويلاً أسمر وثيابه جيدة. وتكلم بصوت ممدود ومتماسك بشكل رائع. في هذه اللحظة سمع صوت نسائي من السيارة:

ـ طبعاً هذه حقيبتك ياإيدفين، لاأفهم ماذا تريد هذه السيدة.

ـ يجب أن نحقق في هذا الأمر ـ كرر ذلك رئيس الشرطة ـ إذا كانت هذه حقيبتك كما تؤكدين ياسيدتي فقولي لي ماذا فيها.

فأجابته بانتش:

ـ ثياب، معطف طويل قديم من فرو القندس وكنزتان من الصوف وحذاء.

ـ حسناً، واضح تماماً قال السيد إيبل واستدار نحو الرجل الأسمر.

ـ أنا رئيس غرفة الطواقم في المسرح، ويوجد في الحقيبة أشياء خاصة بالمسرح. لقد نقلتها إلى هنا من أجل المسرحية.

ـ مفهوم ياسيدي، في هذه الحالة سنرى ماذا بداخلها ونستوضح

الأمر. نستطيع أن نذهب إلى إدارة البوليس أو إذا كنتم مستعجلين نعود إلى المحطة ونفتح الحقيبة هناك.

ووافق الرجل الأسمر قائلاً:

ـ هذا الاحتمال يناسبني، وبالمناسبة فإن إسمي هو موس، اديفين موس.

وتوجه السيد إيبل إلى المحطة ومعه الحقيبة. وقال للمراقب:

ـ سنتوجه فقط إلى قسم إرسال الطرود ياجورج. ووضع الحقيبة على الطاولة وضغط على لسانها لكنها لم تفتح، ووقفت بانتش من جهته وأما موس فقد وقف على الجهة الأخرى وكانا ينظران إلى بعضهما بحقد.

ـ آه، لقد فتحت. قال ذلك رئيس الشرطة رافعاًغطاء الحقيبة.

وكان في داخلها معطف قديم طويل من فرو القندس. وكان موضوعاًبشكل مرتب. وكان فيها أيضاًكنزتان من الصوف وحذاء بسيط كالذي يلبسونه في القرى.

وقال رئيس الشرطة عندما استدار إلى بانتش:

ـ تماماً كما قلت ياسيدتي.

لم يكن أحد يستطيع القول إن السيد ايدفين موس يمكنه فعل شيء. ولم يكن لاضطرابه وندمه حدود. وقال:

ـ سامحيني من فضلك، سامحيني! صدقيني، أنا متأسف جداًجداً. لم يكن لسلوكي أي عذر، أي عذر أبداً ـ نظر إلى الساعة ـ وأما الآن

فيجب أن أسرع، ربما بقيت حقيبتي في القطار ـوقال بصوت ناعم لبانتش عندما حاول للمرة الأخيرة أن يرفع قبعته:

ـ اعذريني من فضلك، أرجوك ـ وبسرعة خرج راكضاًمن قسم الطرود.

ـ هل من المعقول أن تدعوه يهرب؟ سألت بانتش بشكل سري متآمر.

وغمزها السيد إيبل.

ـ لن يذهب بعيداً ياسيدتي. أريد أن أقول إنه لن يذهب بعيداً خفية، إذا خمنتم عن ماذا أنا أتحدث.

ـ آه، وتنفست بانتش بارتياح. وفسر لها إيبل قائلاً:

ـ اتصلت بي السيدة العجوز، فهي وصلت إلى هنا منذ عدة سنوات، لديها فكر واضح ولكن اليوم كل شيء مدبر بشكل جدي، ولن أتعجب إذا زاركم المفتش أو الرقيب غداً صباحاً.

وصل المفتش، ذلك المفتش الذي تذكرته ماربل. وتبسم كرفيق قديم وحيا السيدة بانتش، وقال بخفة:

ـ جريمة قتل جديدة في تشيبنغ كلينغهورن. لانستطيع العيش من دون مفاجآت، أليس كذلك ياسيدة هارمون؟ فأجابته بانتش:

ـ نستطيع بسعادة، لقد أتيت لتطرح علي الأسئلة، أم تريد أن أتحدث بالتفصيل؟

ـ في البداية سأقول شيئاًوسأبدأ من أنه لوقت طويل هناك مراقبة على السيد والسيدة إيكلس. هناك أساس للاعتقاد بأنهما شاركا في بعض السرقات التي حصلت في هذه المناطق. وثانياً، بالرغم من أنه لدى السيدة إيكلس هناك أخ حقيقي وكنيته "سندبورن" لكنه عاد

لبيته منذ زمن قصير، والميت الذي وجدتموه في الكنيسة لم يكن هو.
وقالت بانتش:
ـ عرفت هذا، قبل كل شيء لأن اسمه كان ويلتر، وليس ويليام.
وأومأ المفتش برأسه:
ـ اسمه الكامل كان ويلتر سنت جون، ومنذ ثلاثة أيام هرب من سجن تشارينغتون.
ـ آه، طبعاً، قالت في نفسها بانتش ـ الشرطة كانت تلاحقه وقد وجد ملجأ في الكنيسة ـ وبعد ذلك سألت: وما الجريمة التي ارتكبها؟
ـ يجب أن أبدأ من البداية إذا كان علي أن أجيبكم،إنها قصة معقدة. منذ عدة سنوات دخلت إلى معهد الموسيقا راقصة مشهورة جداً، ولكن لم تسمعوا بها على الأرجح، ورقصتها المفضلة أخذتها من "ألف ليلة وليلة" وتسميتها هي "علاء الدين والكهف السحري". وكان لباسها مليئاً بالأحجار الثمينة المزيفة. ومعروف لي بأنها لم تمتز بموهبتها الرائعة، لكن كانت جذابة جداً وعلى كل حال. هناك أمير آسيوي تولع بها. وقد قدم لها العديد من الهدايا وخاصة عقد الماس الرائع.
ـ الجواهر العائلية للراجا؟ همست بانتش بدهشة.
وسعل المفتش كريدوك.

ـ لا، لعلها أشياء عصرية أكثر ياسيدة هارمون. ولم تمتد قصتهما لزمن طويل،حيث جذبت انتباهه إحدى الممثلات المشهورات. وقد كلفه هذا أشياء ثمينة جداً. زبيدة ـ هكذا كان اسمها المسرحي ـ لم تتخلَّ عن عقدها الثمين، وانتهى الأمر بسرقة العقد. وقد اختفى من

غرفة الزينة في المسرح. اعتقدت الشرطة لوقت طويل بأنها نفسها مثلت هذه السرقة.ويحدث هذا عادة كما تعرفين. ويكون السبب المباشر لهذا، الدعاية الخاصة، وأحياناً شيء آخر من هذا القبيل. ولم يتم العثور على العقد، ولكن أثناء البحث جذب السيد ويلتر سنت جون اهتمام الشرطة. لقد كان رجلاً متعلماً ومثقفاًلكنه كان رجلاً ساقطاً، ويعمل صائغاًفي إحدى الشركات المشكوك في أمرها. والتي تتهم في شراء الأحجار الثمينة المسروقة.

كانت هناك أدلة بأن العقد المفقود كان في يديه، لكن حكموه وألقوا به في السجن بسبب عمل آخر في الشركة. وقد قضى كل الفترة تقريباًلذلك يبدو هربه غير واضح.

وسألت بانتش:

ـ لكن لماذا جاء إلى هنا بالضبط؟

ـ كم كنا نرغب أن نفهم هذا ياسيدة هارمون. وقد بينت عملية مراقبته أنه في البداية ذهب إلى لندن حيث لم يذهب إلى أحد من معارفه السابقين، لكنه زار إحدى النساء المسنات وهي السيدة جيكوبز، التي عملت سابقاًفي غرفة الملابس في المسرح. وامتنعت عن التحدث عن سبب مجيئه، ولكن السكان الآخرين في هذا البيت قالوا إنه عندما ذهب كان يحمل معه حقيبة. وأشارت بانتش: أفهم. لقد تركها في مستودع حفظ الأمتعة في محطة بادينغتون، وبعد ذلك وصل إلى هنا.

وتابع المفتش كريدوك: حتى هذه اللحظة، إيكلس والشخص الذي يدعو نفسه إيدفين موس، لاحقا ذلك الشخص. وبدون شك كانا

يريدان الحقيبة. وقد شاهدا كيف أن سنت جون جلس في الحافلة، وبعدها وعلى الأرجح سبقوه إلى السيارة وانتظرا ضحيتهما هنا، عند مخرج الحافلة.

وسألت بانتش:

ـ هل قتلاه؟

وأجاب كريدوك: نعم، لقد أطلقوا عليه الرصاص، وكان المسدس يخص إيكلس. ولكن الذي أطلق الرصاص برأيي هو موس. وهذا مانريد أن نعرفه ياسيدة هارمون: أين الحقيبة الحقيقية التي تركها ويلتر سنت جون في محطة بادينغتون؟

وضحكت بانتش ساخرة:

ـ أعتقد بأن العمة جين في الوقت الحالي قد استلمتها. لقد كانت هذه خطتها.

لقد طلبت من وصيفتها السابقة أن تسلمها في مستودع حفظ الأمتعة في محطة بادينغتون مع بعض الأشياء الخاصة. وقد تبادلنا القسائم. وأنا استلمت حقيبتها ونقلتها إلى هنا بالقطار. وهي توقعت بأن تكون هناك محاولة لأخذ الحقيبة منها.

وفي هذه المرة ضحك المفتش كريدوك ساخراً.

ـ وهذا ماقالته عندما اتصلت بنا. أنا الآن ذاهب إلى لندن كي ألتقي بها. أتريدين الذهاب معي ياسيدة هارمون؟

وقالت بانتش مستغرقة في التفكير:

ـ حسناً، حسناً. هذا جيد جداً. في الليلة الماضية كانت سني تؤلمني، وكان علي الذهاب بالفعل إلى لندن إلى طبيب الأسنان، مارأيك؟

ـ بدون شك، أضاف المفتش موافقاً.

نقلت السيدة ماربل نظرها من المفتش كريدوك إلى وجه بانتش هارمون وكانت الحقيبة على الطاولة. وقالت السيدة العجوز:

ـ طبعاً لم أفتحها حتى وصول الأشخاص الرسميين، ولم يتبادر في ذهني أبداً أن أفعل هذا. عدا ذلك، فهي مغلقة ـ أضافت السيدة العجوز ببسمة نصر.

وسألها المفتش: تستطيعين أن تخمني ما بداخلها ياسيدة ماربل؟

وأجابت السيدة ماربل:

ـ أستطيع أن أقول إن فيها ملابس زبيدة، تحتاجون إلى إزميل أيها المفتش؟

وعمل الإزميل بشكل رائع. ورفع غطاء الحقيبة، ولم تستطع السيدتان أن تتماسكا من الدهشة، وفجأة هبت أشعة حمراء وزرقاء وخضراء وبرتقالية من الأحجار الثمينة الموجودة فيها.

ـ كهف علاء الدين ـ تذكرت السيدة ماربل ـ الأحجار المختلفة الألوان البراقة، التي غطت ثياب الراقصة.

وقال المفتش:

ـ نعم، وماذا كان فيها برأيكم، ولماذا قتل هذا الشخص؟

وقالت السيدة ماربل بتفكير:

ـ أعتقد بأنها كانت إمرأة ذكية، لقد ماتت، أليس كذلك أيها المفتش؟

ـ نعم منذ ثلاث سنوات.

وتابعت السيدة ماربل:

ـ كان معها عقد من الزمرد، وأخذت منه الأحجار ووضعتها في أمكنة مختلفة من ثيابها. والمشاهدون اعتقدوا دون أدنى شك بأنها قطع من الكريستال. عدا عن ذلك، فهي طلبت شاهدة للعقد الحقيقي. وهذا أيضاًسرقوه. ليس هناك مايدهش بأنه لم يكتشف أبداً. والسارق اقتنع بسرعة بأن الأحجار مزيفة. وقالت بانتش محركة الأحجار الكريمة:

ـ هناك ظرف ما.

وأخرج المفتش من الظرف ورقتين تبدوان وكأنهما ورقتان رسميتان. وقرأ بصوت عال:

ـ "شهادة زواج بين ويلتر إيدمونت سنت جون وماري فوس". كان هذا الاسم الحقيقي لزبيدة.

وقالت السيدة ماربل:

ـ يعني أنهما كانا متزوجين. مفهوم.

ـ والورقة الثانية؟ سألت بانتش.

ـ إنها شهادة ميلاد البنت "جويل".

ـ جويل؟ صرخت بانتش ـ ياإلهي، طبعاًجويل! جويل! لقد فهمت الآن لماذا جاء إلى تشيبينغ كليغهورن، وهذا ماحاول أن يقولة لي:

"جويل". في قريتنا يعيش الزوجان ماندي، وتعيش في عهدتهم فتاة صغيرة. وهما متعلقان بها كثيراًويعتنيان بها كما لو أنها حفيدتهما. نعم لقد تذكرت الآن، اسمها هو جويل،وهما فقط كانا يدعوانها جيل.

منذ أسبوع تقريباًوقعت حادثة لدى السيدة ماندي، وزوجها في المستشفى لإصابته بإلتهاب رئوي، وسينقلونهما إلى المستشفى، وأنا أريد أن أبحث عن عائلة جيدة لجيل حيث يمكنها أن تعيش معها، ولن أسمح بأن يأخذوها إلى الملجأ.

ومن المحتمل أن يكون هذا النبأ قد وصل إلى أبيها في السجن. لذلك قرر الهرب. واستطاع أن يأخذ هذه الحقيبة من المرأة التي تعمل في المسرح والتي احتفظت بها، وإذا كانت الأحجار تعود بالفعل إلى زبيدة، فيمكن أن تصرف من أجل الطفلة.

ـ إنه احتمال وارد جداًياسيدة هارمون. إذا كانا هنا فقط.

ـ آه، تستطيعون أن تتأكدوا من هذا ـ قالت السيدة ماربل بثقة.

* * *

ـ الحمد لله، لقد عدت ياعزيزتي ـ قال ذلك القس جوليان هارمون مرحباًبزوجته.

ـ عندما لاتكونين في المنزل فإن السيدة بيرت تحاول العناية بي بشكل خاص، واليوم قدمت لي على الإفطار فطائر من السمك غريبة جداً. ولم أرد أن أحزنها فأعطيتها إلى القط، حتى هو لم يأكلها، ولم يبقَ لي إلا أن أرميها من خلال النافذة.

ـ قطتنا، أشارت بانتش مداعبة إياها ـ هي تفهم بأمور السمك، فأنا

أتحدث إليها أحياناً، ولكن لايجب أن تكون ملحاحاً هكذا ـ وماءت القطة واضعة رأسها على ركبة السيدة بانتش.

ـ وكيف سنك ياعزيزتي؟ هل رآه الطبيب؟

ـ نعم، أجابت بانتش ـ لم يكن مؤلماً كثيراً. وقد زرت من جديد العمة جين...

ـ عجوزتنا الغالية، أرجو بأن لاتكون قد هرمت؟

ـ تقريباً. قالت بانتش بابتسامة.

ذهبت بانتش في الصباح التالي إلى الكنيسة حاملة معها الأزهار الذهبية الندية، واخترقت أشعة الشمس من جديد النافذة الشرقية. وبانتش المنتشية بأشعة النور توقفت على درجات المحراب وقالت بهمس:

ـ سيكون كل شيء على مايرام بالنسبة لابنتكم، وسألاحق بنفسي هذا الأمر، وإني أعدكم بذلك.

وقامت بتنظيف الكنيسة وترتيبها، بعد ذلك ركعت وصلت قبل أن تعود إلى البيت والاهتمام بالأعمال المنزلية التي تراكمت منذ يومين.

الفهرس

صادرات الدار:

١ ـ الطب الشعبي ومجالاته ـ الطبعة الأولى ـ جاروسي فيرمونت ـ دار علاء الدين ـ ١٩٩٢

٢ ـ أسرار الكون ـ الطبعة الأولى ـ عدة علماء ـ دار علاء الدين ـ ١٩٩٢

٣ ـ القوة العصبية ـ الطبعة الأولى ـ بول بريغ ـ دار علاء الدين ـ ١٩٩٢

٤ ـ فوائد عصير الخضار والفواكه ـ الطبعة الأولى ـ نورمان وكمر ـ دار علاء الدين ـ ١٩٩٢

٥ ـ المساج النقطي ـ الطبعة الأولى ـ زويا ميخائيلينكو ـ دار علاء الدين ـ ١٩٩٢

٦ ـ كيف تكونين جميلة ـ الطبعة الأولى ـ زويا ميخائيلينكو ـ دار علاء الدين ـ ١٩٩٢

٧ ـ الطريق إلى الصحة ـ الطبعة الأولى ـ زويا ميخائيلينكو ـ ١٩٩٢

٨ ـ علاج الأمراض الجلدية ـ الطبعة الأولى ـ ب داتسوفسكي ـ دار علاء الدين ـ ١٩٩٢

٩ ـ الأجسام الطائرة المجهولة ـ الطبعة الأولى ـ أ. كوزوفكين ـ ماجد علاء الدين ـ ١٩٩٢

١٠ ـ دليل مريض السكر ـ الطبعة الأولى ـ دار علاء الدين ـ ١٩٩٠

١١ ـ كيف تقوي بصرك ـ الطبعة الأولى ـ د. ماجد علاء الدين ـ ١٩٩٣

١٢ ـ أعشاب الشفاء ـ الطبعة الأولى ـ د. ماجد علاء الدين ـ ١٩٩٣

١٣ ـ تقليم وتربية أشجار الفاكهة ـ الطبعة الأولى ـ طه الشيخ ياسين ـ ١٩٩٣

١٤ ـ دليل الحامل ـ الطبعة الأولى ـ دار علاء الدين ـ ١٩٩٣

١٥ ـ كيف تعتني بالطفل وأدبه ـ الطبعة الأولى ـ اسماعيل الملحم ـ ١٩٨٨

١٦ ـ التربية السليمة للطفل ـ الطبعة الأولى ـ موريس لين ـ ترجمة سميح شيا ـ ١٩٩٣
١٧ ـ طائر الكريم ـ الطبعة الأولى ـ وهيب سراي الدين ـ ١٩٩١
١٨ ـ مغامرة العقل الأولى ـ الطبعة العاشرة ـ فراس سواح ـ ١٩٩٣
١٩ ـ الحدث التوراتي ـ الطبعة الثانية ـ فراس سواح ـ ١٩٩١
٢٠ ـ لغز عشتار ـ الطبعة الخامسة ـ فراس سواح ـ ١٩٩٣
٢١ ـ التشريعات البابلية ـ الطبعة الأولى ـ عبد الحكيم الذنون ـ ١٩٩٢
٢٢ ـ صفحات من تاريخ فن الرقص ـ الطبعة الأولى ـ فائق شعبان ـ ١٩٩٣
٢٣ ـ الجنس في العالم القديم ـ الطبعة الثانية ـ بول فرشياور ـ فائق دحدوح ـ ١٩٩٣
٢٤ ـ بدايات الحضارة ـ الطبعة الأولى ـ عبد الحكيم الذنون ـ ١٩٩٣
٢٥ ـ طقوس الجنس المقدس ـ الطبعة الثانية ـ نهاد خياطة ـ ١٩٩٣
٢٦ ـ حلوى الأطفال ـ الطبعة الرابعة ـ مرغريت باول ـ فائق عمران ـ ١٩٩٣
٢٧ ـ تحضير الكيك والكاتو ـ الطبعة الأولى ـ مرغريت باتن ـ ترجمة دار علاء الدين ـ ١٩٩٢
٢٨ ـ المأكولات الشهية ـ الطبعة الأولى ـ اف. م ميلينيك ـ سميح شيا ـ ١٩٩٢
٢٩ ـ نحن والأبراج ـ الطبعة الأولى ـ ترجمة دار علاء الدين ـ ١٩٩٢
٣٠ ـ العرافة وسوسةأم ...؟ ـ الطبة الأولى ـ ترجمة دار علاء الدين ـ ١٩٩٢
٣١ ـ العلاقات المشتركة بين الرجل والمرأة ـ الطبعة الأولى ـ سمير عبده ـ ١٩٩٣
٣٢ ـ التحليل النفسي للأقوال المأثورة ـ الطبعة الأولى ـ سمير عبده ـ ١٩٩٣
٣٣ ـ التحليل النفس لقوة الإستدلال ـ الطبعة الأولى ـ سمير عبده ـ ١٩٩٣
٣٤ ـ برتراندرسل ـ الطبعة الأولى ـ سمير عبده ـ ١٩٩٣
٣٥ ـ العمليات الجراحية ـ الطبعة الأولى ـ إعداد فايز طريفي ـ ١٩٩٤
٣٦ ـ موسوعة السويداء ـ الطبعة الأولى ـ مجموعة باحثين ـ ١٩٩٤
٣٧ ـ موسوعة الطيور ـ الطبعة الأولى ـ لجنة الدراسات في دار علاء الدين ـ ١٩٩٤

هذا الكتاب

يعتبر هذا الكتاب من أجمل الكتب التي ألفتها الكاتبة المعروفة أجاتا كريستي - ملكة القصص البوليسية في الأدب العالمي.

تعكس قصص هذا الكتاب انطباعات المؤلفة التي شاهدتها بأم عينها في مصر أو غيرها من مواقع أحداث هذه القصص الممتعة.

يطلب الكتاب على العنوان التالي:
دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة
دمشق ص.ب ٣٠٥٩٨
هاتف . ٢٣١٧١٥٨ - ٥٦١٧٠٧١
فاكس: ٢٣١٧١٥٩ - ٥٦١٣٢٤١